روايات

ALHAN

ألحان

العذاب الأبدي

١٢٦



ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الإمارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١,٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

هزت "كاترين" راسها في تردد .

نظر إليها من خلف كتفه وسالها:

- ماذا ؟

- فهمت انني لا أستطيع أن اقيم أية علاقة حب لسبب بسيط ومعقول وهو أنني لم أنته بعد من علاقتي القديمة .. إنني أحس بانني مرتبطة للأبد بـ"ديفيد" .. وإنني أنتظره ...

وبدلاً من أن يتيح لها الوقت للشرح أو المتابعة وأن تقول له : إنه هو... "ماكنزي" الذي أتى وغير ذلك الشعور وجدته يمسك بكتفيها ويهزها بعنف وهو يصرخ :

- ولكن متى تفهمين ؟ إن "ديفيد" لن يعود أبدا !

الغلاف الأمامي

بعد قصة كفاح استطاع "ديفيد" أن يتعلم ويعول نفسه إلى أن وصل إلى درجة أستاذ اقتصاد بالجامعة.

ويقع في حب إحدى طالباته وتتوج قصة الحب بالزواج وإنجاب طفل جميل.

ينال بطلنا شرف الاشتراك في مؤتمر قمة اقتصادية في إحدى الدول التي تسودها القلاقل والثورات ويؤسر الأستاذ ضمن ثمانية أعضاء ويتعرض للتعذيب ثم يعلن بعد ذلك عن مقتله.

لكن البطل يستطيع أن يهرب بعد أن تشوه وجهه وصوته وتغيرت ملامحه نتيجة عمليات متتالية لمعالجة الجروح وآثار التعذيب . ويهرب إلى موطنه حيث يقرر عدم الكشف عن شخصيته إلا لأبيه الروحي الذي تولى رعايته وتولى أيضا رعاية زوجته وابنه.

ويرسم خطة ليعيش مع ابنه وزوجته التي أصبحت من كبيرات

سيدات الأعمال. والتي لم تتعرف عليه، وبناء على توصية أبيه الروحي يعمل عندها في مهنة رجل كل الأعمال . تتوالى الأحداث والمفاجآت ويقع فريسة الصراع بين إخفاء شخصيته والكشف عنها ولكل من الحالتين أخطارها .

الأحداث مثيرة وسريعة ومليئة بالمفاجآت وآخر المفاجآت تجدها في نهاية الرواية.

www.rewity.com

شخصيات الرواية

"ديفيد مور" : شاب مكافح وصل إلى درجة استاذ اقتصاد في الجامعة ويؤسر في إحدى الثورات أثناء انعقاد مؤتمر قمة اقتصادي ببلد تسوده الاضطرابات ويستخدم بعد هروبه اسما مستعارا هو "ماكنزي ماك" أو "ماكنزي سمث".

"كاتي مور" : زوجة "ديفيد". اصبحت بعد اختفائه سيدة أعمال ناجحة واتخذت لها اسم "كاترين" بدلا من "كاتي".

"رالف سونز" : الأب الروحي لـ"ديفيد" والذي يرعاه ويرعى أسرته بعد أسره.

"فيلدا چونسون" : مديرة منزل "كاترين مور".

"بن مور" : ابن "ديفيد" و"كاتي"

مقدمة

حرص على أن يظل في وسط الطريق الضيق المتشعب.

لقد كانت المتاهة مليئة بالمنحنيات والممرات التي تنتهي بأن يعود من حيث بدأ.

كان الحذاء ذو الرقبة الطويلة والصلب كالحديد يحبس قدميه، وكانت خطواته ثقيلة وبطيئة . ظل في مكمنه قلقا ومنتبها . إن الشجيرات الكثيفة التي تشكل الاحراش وسط المتاهة أحيانا ما تسري فيها الحياة وتندفع نحوه لتجرحه وتمزق ملابسه . ولم يكن سريعا بحيث يستطيع تجنب أشواكها.

كان منهكا . ولكنه لا يستطيع التوقف ولا أن يستريح. لقد كان هناك شيء ما يدفعه إلى أن يخطو بقدم وراء الأخرى دون هوادة ، وان يصارع بضراوة ضد الأشجار الشائكة . تجاوز منحنى آخر ووجد نفسه في مكان سبق أن مر عليه .. عدة مرات . ولكن شيئا ما تغير .

هناك ثغرة وسط السياج الكثيف ولا يمكن أن يخدع فيما يراه ، كما أن أشعة الشمس كانت تخترقها وتطارد العتمة بضوء خافت.

هل هذا فخ ؟ لو اقترب من تلك الثغرة الن تنضم الفروع الشريرة حوله لتاسره مرة أخرى ؟ ولكن عليه أن يخوض المخاطرة. إن النور يجذبه بشدة. سار وهو يجر قدميه وتعثر عدة مرات وقد انتبهت كل حواسه وهو يشمل ما حوله بنظراته وهو مقتنع انه سيقع في الفخ . ولكن لم يحدث شيء . إذن لماذا لا ينحني للأمام وببطء وحذر لينظر إلى الناحية الأخرى من السياج.

اكتشف عالما رائعا . كانت تسوده خضرة الربيع المتجدد والشمس الساطعة والعصافيرالتي تغرد والزهور المبهجة وهي تتمايل مع هبات النسيم. إنه عالم الحياة .. وعالم "كاتي" .. إنها هناك وسط الأرض وقد غطتها أشعة ذهبية. فجأة استدارت ونظرت مباشرة نحوه .

أحس بان قلبه يضطرب واندس داخل الثغرة الضيقة ودون أن يعير الأشواك الطويلة أي انتباه والتي انغرست في ذراعيه وصدره ووجهه .

كان يصارع المتاهة بوحشية .. لابد أن يلحق بها ويقول لها ... - إنه يفيق .. امسكيه جيدا يا "جابر بيلا" حتى أعد له سرنجة الحقن .. لأن الألم سيكون رهيبا .

كان هذا الصوت ياتيه من بعيد ويزعجه . كز على اسنانه ثم دفعها بعيدا عنه . إنه لا يسمح لأحد أن يشتت افكاره ولا يقبل هذا التدخل .

لابد أن يركز كل طاقته وانتباهه لمعركة ضد الأحراش والشجيرات الكثيفة.

إنه الآن وسط الطريق . لو استطاع أن يحرر ساقيه لخرج إلى الجانب الآخر ... إلى عالم "كاتي"، ولكنّ شيئا ما لا يسير سيرا حسنا . صارع في جنون عندما ابتلعته العتمة . لقد جذبته فروع الأشجار

إلى الخلف وانغلق السياج عليه وأبعده عن الشمس وحبسه بعيدا عن "كاتي".

إنه لايزال يميز الشابة خلال الثقب الذي أمامه وهو مكبل بالأغصان ولكن النور هجره .. لقد تراجعت للخلف وهي مرتعبة.

إنها لا تراه .. إنها تهرب.

إنه لا يحتمل أبدا أن يفقدها . لا . لابد أن يجد وسيلة للحاق بها وإبقائها وأن يجعلها تفهم أنه موجود وأنه سيبذل كل جهده للحاق بها.

أبعد الأغصان من أمام وجهه وناداها بكل مالديه من قوة مرة ومرة ومرات. ولكن الأغصان شوهت صوته وحولت صرخاته إلى أصوات متقطعة غير مفهومة . ومع ذلك فإنها ستلتفت إليه مثل صدى الصوت وقد حنت راسها في انتباه . فجأة اتسعت عيناه .. إنها تراه ! إنها عائدة ولكن فات الوقت فقد شكلت الأشجار والسياج سدا بينهما لونه أخضر داكن ومتماسك .

أغلق عينيه وأفلتت منه آهات الم . آه فقط لو استطاع أن يصارع جيدا ولو استطاع أن يحدثها و.. فات الوقت لقد اختفى عالم الحياة واختفت "كاتي" .

وهو وسط المتاهة وحيدا ، قال له صوت الواقع عندما فتح عينيه:

- آه ... أخيرا قررت أن تستيقظ.

الفصل الأول

كان المقعد المجاور لـ "ديفيد" داخل الحافلة خاليا وكان عليه أن يبحث بنظره بعيدا عن تلك الفضولية التي سألته:

- هل انت ذاهب إلى "دلاس"؟

كانت شابة ذات خصلات نحاسية، وكان من الممكن أن تكون فاتنة لو قللت كثيرا من زينتها . تاملته باهتمام واضح لم تحاول إخفاءه .

كان "ديفيد" قد قضى الساعة الماضية وهو يتامل في انبهار ذلك البساط الأخضر المتحرك والذي ينعكس على زجاج النافذة مثل الفسيفساء، ولكن مقاطعتها إياه لم تزعجه بل اعجبه كثيرا جو الربيع في "تكساس" ولكنه ركز في كلام محدثته:

- نعم سأذهب إلى المحطة الأخيرة.

لابد ان صوته أدهش محدثته لانها حولت راسها جانبا وهي تبتسم في حيرة:

- هل انت ذاهب إلى هناك للبحث عن عمل ؟

رد عليها برقة:

- أنا راجع إلى بيتي .

- هل مر وقت طويل لم ترفيه أسرتك؟

هز رأسه موافقا :

- ست سنوات.

قد تبدو المدة غير طويلة حقا ولكن إذا حسبنا كل دقيقة - والتي كانت لا تنتهي بالنسبة له - لعرفنا أن السنوات الست طويلة وطويلة جدا.

من ست سنوات مضت لم يكن للوقت مثل هذه الاهمية عند "ديفيد مور" أستاذ الاقتصاد في جامعة مرموقة في "دلاس" . وكان متزوجا بأجمل النساء التي وهبته أجمل طفل وكان سعيدا وواثقا بنفسه ومتاكدا من أن الوقت في يده وصالحه.

وذلك من ست سنوات مضت .

اغلق "ديفيد" عينيه وتمدد وهو يطوي بقايا الخوف والياس في تلك الوحدة الرهيبة التي تحطم القلب. لقد قضي الأمر. و عليه أن يتخلص من كل ذلك. فمادام ولو جزء صغير من ذلك الكابوس داخله فسيظل سجينا.

عندما وقفت السيارة بعد ساعة تمطى وأخذ حقيبته المصنوعة من النيل وابتعد بسرعة بينما انتظر باقي الركاب تسلم امتعتهم الأكثر ضخامة. لم يكن متمسكا بأن توليه الشابة ذات الشعر الأحمر اهتمامها والذي كان من الواضح أنها تستعد له .

عندما وصل إلى الرصيف توقف لحظات حتى يتكيف مع جو "دلاس". لقد عبر العديد من المدن في طريق العودة ولكنه هنا في وطنه . لان

"كاتي" موجودة فيه.

ترك الذكريات الرائعة تغزوه. في ذلك اليوم الذي قابل فيه الشابة...

كان كعادته متاخرا واخذ يسرع الخطى وهو يتصفح رزمة اللوحات والصور الفوتوغرافية التي سيستخدمها اثناء الدرس . عندما اصطدم بتلك الشابة بقوة تناثرت الكتب والأوراق على الأرض فركع كلاهما يحاولان جمع ما تناثر . وقدمت الاعتذار بصوت حلو ولكنه قاطعها بسرعة:

- إنها غلطتي لانني لم انظر إلى اين انا ذاهب .

عندما رفع عينيه شعر بان قلبه قد اختنق . لقد كانت محدثته ذات شعر قصير ومجعد بعض الشيء وايضا ناعم واشقر مثل شعر الأطفال. كانت تقاطيعها فاتنة وكانت مزينة على احدث موضة وانيقة دون تكلف وقد احاط وجهها ذكاء هادئ.

لقد كانت فاتنة تماما . ولكن لم يكن جمالها هو الذي سحر "ديفيد". فقد سبق ان راى وقابل نساء باهرات الحسن وكان يعتبرهن مثل اللوحات الفنية : صنعن للمشاهدة عن بعد .

اما الشابة التي يراها امامه فكانت مختلفة . كانت مشرقة الوجه ومثيرة مثل نهار الربيع الجميل، وجعلته يشعر برغبة عارمة في أن يدع عمله يذهب إلى الجحيم وأن يضيع في اعمال طائشة . قال لها :

- يبدو لي انني سبق أن شاهدتك في مكان ما. هل يمكن ان تكوني إحدى طالباتي؟

- لقد كنت في وقت ما .

- وانقطعت ؟ لماذا؟ الا تحبين الاقتصاد؟

قالت وعلى فمها نفس الابتسامة الغامضة:

- اعني .. انني .. أواصل الدراسة مع الأستاذ "ياتس".

- لابد انك تمزحين.

كان الأستاذ "ديفيد" قد انتهى من جمع أوراقه وانتصب واقفا ثم أكمل حديثه:

- هل تفضلين "ياتس" علي؟ هل تستفيدين من محاضراته حتى يمكنك ان تتاخري في النعاس؟

إنه يقسم أنها كانت تضحك حتى لو تراقصت ومضات من النار في عينيها الخضراوين، مما يكشف عن مدى سرورها . ثم قال يختم كلامه بلهجة الأستاذ:

- لو كان لدي الوقت لاكتشفت نهاية الحكاية.

لما كان متاخرا فقد اضطر لأن يتركها في مكانها رغما عنه والندم يحرق قلبه . ظل الوجه الفاتن يفرض نفسه عليه حتى في اللحظات غير المتوقعة، ويسيطر عليه تماما ويجعله يفقد تسلسل أفكاره. في المساء عندما رن جرس الباب كان جالسا أمام مكتبه وهو يتامل النافذة وهو ساهم ولايزال مشغولا بها .

عندما وجد على عتبة الباب من كانت تشغل أفكاره. عقد حاجبيه متجهما ثم أعلن دون تمهيد:

- "ياتس" ليس أستاذا جيدا مثلي ولا يمكن أن تنكري ذلك. وأستنتج انك عدلت جدول مواعيدك وعندما فكرت أن تنضمي مرة أخرى لمحاضراتي حسبت أن كل الأماكن مشغولة لانني محبوب . هل الأمر كذلك؟

لم تجبه. ولكن مرة أخرى امتلأت حدقتاها الخضراوان بالوميض. كان مستندا بلا اهتمام على إطار الباب وهو سعيد بمشاهدة ما يفتنه . سألها :

- ما الذي يجعلك تضحكين ؟

- انا لا اضحك.

- إنك لاتضحكين بشكل مكشوف وإنما داخل أعماق نفسك. لابد أنك مستمتعة بكل قلبك لرؤيتي على ما اظن ؟ لماذا؟

قالت شارحة:

- لانك متباه لدرجة رهيبة.

اخذت شفتها السفلى تهتز من الضحك المكبوت .

- كل الناس الأذكياء متباهون . وإذا كنت قد حضرت كل هذه المسافة إلى هنا لتقولي ذلك فإنك بذلك تضيعين وقتك لانني اعرف ذلك بالفعل.

هذه المرة اضطرت ان تعض على شفتها حتى لا تنفجر ضاحكة ثم سلكت حلقها قبل ان تستانف:

- لقد اتيت أطلب منك أن تتكرم وتخبرني: هل وجدت بحثي وسط اوراقك؟

ابتعد عن عتبة الباب وسمح لها بالدخول.

- نعم لقد وجدته وقد استنتجت منه انني ساغفر لك بعض التباهي.

فجاة تخشبت في مكانها وهي تنظر إليه في ذهول :

- هل قرات ... فقط القليل ؟

- انت لازلت صغيرة للغاية فكوني صبورا .. كم سنك؟

- واحد وعشرون عاما !

- آه !

كانت هذه الآهة هي التعليق الوحيد على إجابتها . لقد كان هو في الثامنة والعشرين من عمره . وإذا كانت تبدو أصغر من سنها فربما كان عليه أن يهزم بعض مخاوفه . لانه في اللحظة التي رآها فيها بالضبط فوق عتبة بابه كان يعرف ما سيحدث. عندما أصبحت الشابة داخل غرفة مكتبه نظرت خلال نفس النافذة التي كان يتطلع هو من خلالها

قبل وصولها . كانت الشمس تحيطها باشعتها تماما وتطبع بقعا بلاتينية فوق شعرها الاشقر. وتساءل: لو انه عرف ما تخفيه وراء عينيها الخضراوين الغائمتين فهل وقتها سيظل يحبها كما يحبها الآن وفي هذه اللحظة؟

إنه الآن يعرف ذلك . لقد أحبها بالفعل رغم انه لم يقتنع ابدا بان ذلك ممكن.

دس "ديفيد" يده داخل جيبه واخذ يعبث إلى أن أخرج قبضة من النقود تاملها بعض الوقت. سيذهب إلى اقصى شمال المدينة .. إنه مشوار طويل. وبدا السير .

عند مروره أمام إحدى المكتبات نظر إلى صورته المنعكسة على زجاج واجهة العرض المتربة ووقف ليتاملها . كانت بشرته برنزية وشعره اسود كثيفاً وطويلاً بحيث اخفى ياقة قميصه القطني . أما عيناه فكانتا بلون العنبر وكان عريض المنكبين بدرجة لاتتناسب مع تكوينه الجسدي الذي يتميز بالطول الشديد . لقد سبق له أن تامل وجهه وأن يتعود على التغييرات التي أحدثتها السنوات الست.

لمع العرق المثلج فجاة على جبهته وشفته العليا واخذت يداه ترتجفان وقلبه يدق بطريقة مؤلمة داخل صدره . لقد قبض الخوف عليه بقوة حتى أوشك أن ينهار.

لم تكن هذه أول مرة يحدث له ذلك . إن أزمات الخوف هذه كانت تصيبه في اللحظات غير المتوقعة على الإطلاق ودون سابق إنذار.. ففي لحظة يكون على ما يرام وفي اللحظة التالية كان يجد نفسه مضطرا لأن يقاوم الحاجة إلى الهروب عدوا إلى أبعد ما يمكن.

أشاح بوجه فجاة بعيدا عن واجهة العرض وقد كز على أسنانه ومرر يده بقسوة على وجهه وهو يتنفس بعمق.

لم يستانف السير إلا بعد ان عاد إلى هدوئه وسار بخطوات بطيئة مترددة. إنه يحتاج إلى ملابس مناسبة ووسيلة انتقال ولكن المال قليل...

كان غارقا في افكاره عندما توقف لوري تسليم البضائع وإطاراته تحدث صريرا مزعجاً بجواره. قفز السائق إلى الأرض وذهب إلى خلف السيارة. تامل "ديفيد" الحروف الكبيرة السوداء الباهتة المرسومة على باب السيارة

شركة "سونز". لمواد البناء بارخص الأسعار لصاحبها "رالف سونز".

كان مالك شركة "سونز" لمواد البناء ذات الفروع الثلاثين المنتشرة في شمال "تكساس" رجلاً عجوزاً مشاكساً وهو شاذ الطباع وشديد الثراء في أن واحد . وكان ايضا احسن صديق لـ"ديفيد". لقد كان جدول مواعيد العجوز كما هو لم يتغير من ثلاثين سنة: في الخامسة صباحا بالضبط كان يترك املاكه الواسعة في "دلاس" ليصل إلى مطعم من مطاعم الطرق السريعة حيث يقضي ثلاث ساعات في احتساء القهوة بمصاحبة عجائز غريبي الطباع مثله ويرتدون ملابس رثة ايضا مثله .

ثم يذهب بعد ذلك إلى مكاتب مؤسسته التي يغادرها في الساعة الحادية عشرة والنصف تماما ايضا. بعد ذلك يذهب لتناول الطعام في مطعم "شيه فلورا" وهو مبنى معدني يعود تاريخه إلى ازمة ١٩٢٩ ويقدم الدجاج المقلي بصلصة دسمة جدا. وينهي "سونز" يوم عمله بمضايقة مديري محاله الخمسة في مدينة "دلاس".

كان مطعم "شيه فلورا" يقع على بعد مجموعتي مبان سكنية من المكان الذي يقصده "ديفيد" وإذا اسرع فإنه سيلتقي بـ"رالف" في الوقت المناسب عندما يكون العجوز قد اشبع جوعه وقبل ان يكون في حالة هضم الطعام.

كان "ديفيد" قد بلغ لتوه سن السادسة عشرة عندما بدا العمل المؤقت في احد محالت "سونز" لمواد البناء . حتى يتمكن من مساعدة جدته التي لم تكن لتحصل إلا على معاش ضئيل . وكانت زيارات العجوز اليومية صاحب المحال جعلته يتعرف على "ديفيد" ويقدره. وفي العام التالي توفيت جدته فمنحه "رالف" سقفا يستظل به ولهذا السبب احبه "ديفيد".

ساعده العجوز في إنهاء دراسته . وقدم له اول سيارة في حياته ولكنه اخذ يعمل كالمجنون حتى يستطيع سداد غرامات تجاوز السرعة التي تبعت شراء السيارة. وهنا "رالف" ربيبه عندما حصل على منحة دراسية مجانية مرغوبة جدا ولكنها سحبته خارج مباني الجامعة عندما اضطر "ديفيد" لان يظل في الفراش بدلا من حضور الامتحان نتيجة إرهاقه الشديد في الليلة السابقة على الامتحان.

كان "رالف" يمدحه ويعاقبه بنفس الحماس وجعل منه رجلاً حقاً. وفي الليلة السابقة لزواجه بينما كان "ديفيد" يستعد ليدفن حياته كعصبي . لعب "رالف" مرة اخرى دور الأب عندما قال له:

- انت مثل ابني . اعرف انك بلغت التاسعة والعشرين من عمرك وتعتبر نفسك حاذقا جدا ولكن يظل هناك اشياء صغيرة لابد ان تتعلمها ولن تفعل ذلك في المدارس.

ابتسم "رالف " واكمل:

-انت طبعا تعرف عن مسائل العلاقات بين الرجل والمراة اكثر مني يا بني . وعليك ان تتصرف بمفردك في هذا الأمر . واريد ان احدثك عن الحياة لانني ببساطة عشت اطول من اللازم . وانت ايضا عشت بالدرجة الكافية وعانيت بما فيه الكفاية فقد فقدت والديك وانت لاتزال صغيرا جدا، ثم فقدت جدتك وانت لاتزال في سن المراهقة ولا اعتقد ان

كل هذه المعاناة قد افسدتك وانك لازلت طاهرا.

قال "ديفيد" مازحا بعد ان تعود على كلام العجوز المباشر:

- لا تدر حول الموضوع وتلف ... انت تعتبرني متصنعا .. اليس كذلك؟

ولكن "رالف" كان لديه شيء مهم ليقوله ولكنه لن يسمح له بان يشتت أفكاره، قبل ان يفعل ذلك قال العجوز مكملا حديثه:

- طبعا لقد عانيت الكثير فقد كنت حاضرا عندما ماتت جدتك . وأعرف كيف كانت الضربة قاسية عليك . ولكن لكونك شاباً فقد استعدت توازنك بسرعة . غير أن ذلك لن يكون الوضع دائما . ففي يوم ما سيقع لك أمر تظهر آثاره على وجهك ويشيب له شعرك.

ربت "ديفيد" كتف العجوز في حنان:

- انت يا "رالف" ابي وأمي ورئيسي وضميري في آن واحد منذ ان كنت في السابعة عشرة من عمري وإذا كنت غير قادر على التصرف فالغلطة غلطتك.

اخذ صديقه العجوز يتامله طويلا قبل أن يختم حديثه:

- إن عاجلا أو آجلاً فإن الحياة ستوقعك في مصيدتها. إنها تاسر كل الناس بين قبضتها وفي الوقت نفسه لن تستطيع أن تهرب منها وتاكد من هذا. ولكن عندما تحرق النار الإنسان فإنه يخرج منها اكثر قوة وفي صلابة الفولاذ واقوى مما كان. وأريد منك أن تكون مستعدا لذلك.

واليوم كان "ديفيد" يقترب من المقهى والمطعم الصغير. تساءل: ألايزال "رالف" يذكر هذه النصائح؟ وهل كان يتوقع مدى سخرية القدر؟

وصل إلى باب المؤسسة عندما انفتح ليفسح الطريق لرجل ضخم مرتد طاقماً كاملاً ومكرمشا والذي مر امامه دون أن يلقي عليه اية نظرة واتجه نحو سيارة "فورد" قديمة ومكشوفة الغطاء .

- "رالف"؟

استدار الشخص المنادى وقد بدا عليه الضيق. استمر "ديفيد" في حديثه المتقطع الذي أصبح من الآن صفته المستمرة:

- لقد حدث لي ما سبق أن تنبات به . لقد أمسكت بي الحياة وكنت مستعدا لاختبار النار ولكنك لم تحدثني أبدا عن حرب الخنادق ...

اخذ الرجل العجوز خطوة للخلف وهو منتبه وشديد الحيوية واصطدم بباب السيارة القديمة بينما لم تترك عيناه الثاقبتان "ديفيد".

أخيرا استطاع ان يقول:

- ولكن خبرني: من انت ؟

الفصل الثاني

مرر "رالف" يده المترددة فوق وجهه وبدأت ركبتاه ترتجفان. قفز "ديفيد" نحوه وأداره من كتفيه ليسنده، ثم فتح باب السيارة "الفورد" وساعده على الاستقرار داخلها ثم جلس على المقعد المجاور لمقعد السائق وهو يقوله له:

- اهدأ أيها الصديق العجوز. الأمر لا يستحق أن تصاب بأزمة قلبية. اليس هذا ما كنت تردده على أسماعي باستمرار؟ يجب أن تتبع نصائحك من حين لآخر يا "رالف"!

أطلق "رالف" زمجرة وحرك رأسه قليلا وإن قال بصوت خشن اكثر من المعتاد وإن ظل شاحبا:

- اخفض مخالبك وابتعد عني.

أخذ يطرف بعينيه عدة مرات حتى يستطيع أن يرى بوضوح ثم قال:

- كيف عرفت انه يناديني "صديقي العجوز" وانني كنت اقول له

عبارة "أزمة قلبية"؟ ثم بالنسبة لمسألة تجربة النار. كيف ..؟

قطع العجوز كلامه واعتدل في جلسته بينما كانت نظرته تزداد حدة وشراسة:

- هل كنت مع "ديفيد" .. عندما مات؟

أجاب "ديفيد" في همس مخيف:

- إنه لم يمت.

خيم صمت ثقيل على هذا التأكيد ثم استدار "رالف" ووضع يده على أكرة الباب وقال:

- لست أدري ماذا تريد؟ ولكنك أخطأت العنوان. لقد رحل "ديفيد مور" من ست سنوات من أجل...

أبعد "ديفيد" يده عن رسغه وأخذ يتأمله.

- من أجل حضور مؤتمر قمة "جامارا" وإيجاد حلول- مع بعض ذوي الرؤوس الضخمة - لمشاكل هذا البلد الصغير غير المفهومة والذي يقع في أمريكا الوسطى.

عندما طلب منه المشاركة في مؤتمر القمة هذا سعد هو و"كاتي". إن تلك الدعوة تعد تشريفا له. طبعا كانت فكرة أن يبتعد عن زوجته وابنه -رغم أنها فترة لا تزيد عن أسبوع- قد ضايقته ولكنه سيقابل أشخاصا كان لا يعرفهم إلا من خلال كتاباتهم. إنها فرصة عمره.

أعلن "رالف" بعد أن أعاد "ديفيد" إلى الحاضر:

- إنك مدين لي بالشرح .. لو كنت قرأت جرائد ذلك الوقت لعلمت أن "ديفيد" وقع رهينة عندما ..

قاطعه "ديفيد":

- في اليوم الثاني لمؤتمر القمة اندلعت الثورة وقبل أن تتمكن الحكومة من تهجير الأجانب وترحيلهم كانت قوات المتمردين قد أخذت

ثمانية رجال رهائن . وكانوا جميعهم من رجال الجامعة ولم يكن اي منهم مستعدا لمواجهة هذا الوضع...

أكمل "رالف" الحديث :

- وبعد سنتين قتل هؤلاء الأوغاد الأقذار المخطوفين. لقد مات "ديڤيد" من أربع سنوات . وقد شاهدنا الصور الفوتوغرافية .. لقد وضعوهم على شكل كومة مثل كومة القمامة . وقد تناثرت الدماء في كل اتجاه . لقد تم ذلك من أربع سنوات ولكني كلما اغلقت عيني أرى المشهد مرة ثانية.

كان ديڤيد" نفسه قد رأى الصور الفوتوغرافية. لقد قام الأوغاد بعرض تلك الصور عليه ليعرف أن كل العالم يعتقد أنه ميت . وأن احدا لن يهتم بعد ذلك بإنقاذه .

همس "رالف":

- لم يتبق شيء من وجهه وعندما افكر فيما يمكن أن يكونوا قد فعلوه به وكل ما تحمله قبل أن يموت...

قاطعه "ديڤيد" بجفاء:

- لا تفكر في هذا فإنه لن يغير من الأمر شيئا.

أخذ نفسا عميقا ليعيد ترتيب أفكاره . إنه لن يسمح لنفسه بالشرود وعليه أن يتحكم في الموقف. استأنف الحديث بنبرة أهدأ:

- فكر أحسن في كومة الجثث وفي كل هذه الدماء وأن هناك شخصا لايزال على قيد الحياة.. شخصا نقلته روح طيبة إلى الطبيب...

انقطع صوته وهو يتذكر في نفس الوقت ذلك الطبيب المجهول البارد غير المبالي وهو يقول:

- لقد أديت ما بوسعي . لو كان معي صورة أصلية لك لاستطعت أن أعيد لك ملامحك الأصلية . ولكن لا شيء مؤكد. فإن وجهك لغز محير وهناك دماء وبقايا عظام في كل مكان . وأخبروني أن علي أن أعيد لك

وجهك الإنساني .. لقد نجحت في ذلك .. ثم إن منظرك ليس سيئا...

لاباس ولكنه لم يعد نفس الشخص . تحول نحو "رالف" ولاحظ أن العجوز يتأمله بإمعان وريبة.

- ما الذي تحاول أن تقوله لي ؟ وأين كنت إذن طوال هذه السنوات؟

بدأ "ديڤيد" يضحك:

- هل تعتقد أنني اخترعت ذلك أيها العجوز...؟

قطع كلامه عندما شاهد العجوز يسترخي ويغوص داخل مقعده:

- لا تتعصب فإن ذلك ضار بقلبك . إنني أتعجب لأنك لازلت على قيد الحياة رغم كميات الدهون التي تلتهمها.

خفض العجوز رموشه:

- "ديڤيد" ؟ هل هذا أنت ؟

- نعم.

- ولكن وجهك .. وصوتك..

ها هي ذكريات أخرى تلح على ذهنه وفردة حذاء "بوت" ضخمة تطرق رأسه .. عذاب أبدي ... ضغط "ديڤيد" قبضته بشدة وقطع أنفاسه لحظات . لابد أن يوقف هذا العرض المستمر وإلا يستسلم للخوف .

- لقد أصيبت أحبالي الصوتية بضرر شديد .. هكذا الأمر .

كانت آخر صدمة هي التي ذهبت بصوته . وصوته أيضا وهو الذي استطاع أن ينقذه حيث اعتقد المختطفون أنه أضعف من أن يتحرك فكفوا عن مراقبته . أخذ يتخبط في الغابة أطول وقت ممكن وهو شبه مغمى عليه.

استعاد رشده ووجد نفسه في حجرة صغيرة مريحة حيث كان يعالجه طبيب من الريف هو وأسرته. لم يكن ليعرف ما الذي حدث له؟ولا لماذا يعاني كل هذه الآلام؟ وفضلا عن ذلك لا يستطيع أيضا الحديث . وبعد ذلك وعلى مر الأيام بدأ يشفى وتعود إليه ذاكرته ..

سليمة. بعد ذلك استعد لعودته عودة سريعة وخفية قدر المستطاع .

شرح لـ"رالف" قائلا:

– لم أرغب العودة إلى السفارة . وعبرت بعض الحدود متسللا، ولكني اعتقد ان هذه كانت افضل طريقة ولازلت أعتقد ذلك . لم اتحمل فكرة ان اظل محصورا هناك حتى يتمكن هؤلاء المسؤولون الحكوميون من سؤالي على راحتهم . حدثني إذن عن "كاتي"! تململ "رالف" قليلا، ومرر يده المرتجفة خلال شعره :

– إنها "كاترين" الآن؟

– لا معنى لهذا الكلام .. لماذا؟

– لقد ظنت انها تستطيع النجاح في الأعمال التي تحتاج إلى اسم رنان وان اسم "كاتي" ناعم اكثر من اللازم .

هز "ديفيد" راسه وهو شارد وساله :

– لست افهم .. اية أعمال؟

بدأ "رالف" الحديث:

– إن أموال التامين لم تكن لتستمر طوال الحياة.

– ولكن والديها ...

– لقد ارادا مساعدتها وانا كذلك ولكنها قالت: إن كل شيء تغير وان عليها نفسها ايضا ان تتغير وان عليها أن تكبر وان تتصرف بمفردها.. ولابد أن اعترف انها حققت ذلك ببراعة.

لم يستطع "ديفيد" أن يهضم ما قاله "رالف" لأنه لا معنى له .. كيف يمكن أن تكون "كاتي" .. حبيبته الرقيقة الهشة قد أصبحت سيدة أعمال؟

على أية حال عندما راى أن صديقه العجوز يتامله بإمعان اخفى ضيقه وشعوره بعدم الارتياح ثم ساله:

– وماذا عن ابني؟

اشرق وجه "رالف":

– إن "بن" صبي رائع وهو شيطان صغير حقا وانا أسف لانك لم تشاهده وهو يكبر ... ما الذي فعلوه بك يا بني؟

تخشب جسد "ديفيد" وقال :

– لقد أصبح ذلك ماضيا فلا تتحدث عنه بعد ذلك، يجب أن أهتم بالمستقبل الآن.

– يا إلهي ! لا يمكن أن تصل براس وصوت شخص مجهول وتقرر انه لا داعي للحديث عما حدث! إذا كنت لا ترغب في أن تخبرني عما فعلوه بك فاشرح لي– على الأقل– لماذا احتفظوا بك كل هذه المدة ؟ اعرف أن هذا يحدث أحيانا . وبعد الحرب العالمية الثانية انتظر الروس عشرات السنين لتحرير بعض الأسرى .. ولكن لماذا ؟

التوت شفتا "ديفيد" في ابتسامة مريرة:

– إنني أجهل السبب . وربما لم يعرفوا كيف يتوقفون وربما عندما فشلت ثورتهم وفقدت حركتهم المتمردة أي معنى استمروا في أعمالهم الرهيبة بحكم العادة . لقد عذبوني حتى أشرفت على الموت وفي نفس الوقت عملوا المستحيل للمحافظة على حياتي، ولكني لا أدري السبب وبكل صدق لم يعد يهمني أن أعرف . والآن أريد أن أعرف: هل ستساعدني أم لا ؟

– ياله من سؤال ساذج ! ساساعدك . ما الذي تحتاجه؟

مد يده نحوه وصافحه قائلا:

– ما يحتاجه الأبناء حتى الكبار في السن منهم من آبائهم .. هل يمكنني أن أحصل على مفاتيح السيارة وبعض المال يا أبي؟

انفجر "رالف" ضاحكا وغاص "ديفيد" في مقعده أكثر وهو يزفر زفرة مرتعشة.

لاباس .. فقد فكر في الأمر وحلم به طوال ست سنوات وها هو أخيرا يعود إلى بيته.

الفصل الثالث

استندت "كاترين مور" بمرفقيها على مائدة المطبخ الصغيرة وهي تتامل بإمعان التقارير الموضوعة امامها .

كانت "فيلدا جونسون" مديرة منزلها واقفة - وهي امراة في الخمسينات من عمرها، وهي ايضا طاهيتها وناقدتها وصديقتها من ثلاث سنوات- وقد اعطت "كاترين" ظهرها . كانت تقلب قطعة من اللحم في إناء وهي تزمجر:

- حبر على المائدة ومشابك وورق على الأرضية. من سينظف كل هذا ؟ إن لك مكتباً وعليه كمبيوتر ولوحات ورسومات وكل ما يلزم سيدات الأعمال... لماذا إذن تاتين دائما لتستقري هنا وتنصبين السيرك واجنك في اعقابي ؟

اجابت "كاترين":

- انا في بيتي وساستقر في المكان الذي يعجبني. الن تنتهي من

تقليب اللحم؟

اخذت المراة التي تكبرها في السن تشرح وهي لا تكف عن تقليب اللحم:

- انا احب تقليب اللحم دون توقف. إنني اتصوره زوجي السابق.

علقت الشابة وهي مسرورة:

- لقد ظننت ذلك وايهم من بين العديد من ازواجك السابقين ستلتهمه هذه الليلة ؟ ذلك الذي ضبطته يخونك مع ابنة عمك ام ذلك الذي نهب حسابك في البنك وهرب إلى "نيوزيلندا"؟

- لا واحد منهما . إنه "ثيو". إنه الاول كما تعلمين لقد تزوجته وانا في الخامسة عشرة من عمري . كان يمكن أن يصبح رائعا للغاية او متعفنا لاقصى حد ولكني احببته اكثر من الاخرين مجتمعين . وهذا يفسر لماذا لازلت اكرهه . ليس من المفيد أن تحبي رجلا اكثر من اللازم.

- ولماذا ترددين على راسي دائما ضرورة ان اتزوج ؟

- لأن حياتك في الحقيقة اصبحت مملة جدا .

اقتربت "فيلدا" من ربة العمل وقالت وهي تلوح بملعقة التقليب لتوضح كلامها :

- عندما تعطل كمبيوترك من فترة وتطلب الأمر استبداله فقد كانت هذه أول مرة يحدث شيء جديد في هذا المنزل ! ثم إنك تعرفين دستة من الرجال لا يتمنون شيئا في الدنيا سوى الزواج بك .

- اعترضت "كاترين":

- انت لا تحبين اصدقائي.

زمجرت "فيلدا":

- إنهم مجموعة من الطائشين ويقطع نياط قلبي أن اراك دائما مع رجال لا يساوون شيئا سوى صفر .اراك تتنزهين بمفردك كانك معلقة

لوحات كرتونية مكتوبا عليها عبارة "ممنوع على الرجال الحقيقيين" الاقتراب . في الحقيقة أكاد اشك في انك تفضلين هذا الوضع.

- اعتقد أن كل ازواجك كانوا من الرجال الحقيقيين. حسنا .. ارجو المعذرة، فإن هذا الحديث يشعرني بالبرد ومادمت تحبين الزواج حتى هذه الدرجة فما عليك سوى أن تجربي حظك للمرة...كم ؟ العاشرة ؟ لقد قمت بعد مرات زواجك لدرجة انني دهشة من انك لم تتعبي من ذلك ويمكن استخدام لوح الإردواز للكتابة عليه في حالة الزواج والمحو في حالة الطلاق وبذلك توفرين عددا كبيرا من قسائم الزواج.

- آه ها !إنك ظريفة للغاية!

وضعت "فيلدا" قطعة اللحم في طبق سلطة وعليها الصلصة واستدارت نحو "كاترين" وقد وضعت يديها في وسطها .

- مابمنا وسط جدال حام فإنني اذكرك انك وعدتني الأسبوع الماضي أن ترسلي شخصا يركب الرفوف في مخزن المهملات . إنني أنتظر دائما ... وإذاسقطت علبة مربى فوق رأسي وقتلتني فستندمين على ذلك طول حياتك .

ردت عليها محدثتها بهدوء:

- لن يحدث هذا ابدا .. بل ساكون سعيدة .. وبالمناسبة فإن الوكالة سترسل لي "كتالوج" اليوم للاختيار ويمكنك ان تختاري النمط الذي يعجبك . نعرف انا وانت أن حكاية الرفوف هذه ليست سوى مبرر، فانت تحبين العمال الذين يدقون الوشم على صدورهم السمراء وأيديهم.

- على الأقل انا اعرف ما ابحث عنه ولماذا . بينما انت لاتعرفين. فانا متاكدة من انك لا تتذكرين آخر مرة رايت فيها صدر رجل إلا إذا اعتبرت "جونيور" رجلا .

انفجرت "كاترين" في الضحك وهي تتصور "جونيور تيبيدو" الذي لا تستبعد أن ينام وهو مرتد حلة مكونة من ثلاث قطع وقد استعرض صدره العاري . قالت وهي تهز رأسها :

- ايتها الحمقاء .

ردت عليها "فيلدا":

- يا ذات الراس الحجري.

ابتسمت "فيلدا" رغما عنها ونزعت مريلتها ثم اخذت حقيبة يدها وقالت :

- لابد أن أرحل لشراء مكونات السلطة .. إلى اللقاء.

عندما خرجت "فيلدا" ألقت "كاترين" نظرة سريعة على النافذة الخلفية. عندما تريد ان تتشاحن مع "فيلدا" فإنها تعمل بالأخص في المطبخ حتى يمكنها أن تبقي عينيها ساهرتين على ابنها . إنها تصبح صريعة الخوف عندما يغيب عن انظارها رغم انها لاتظهر ذلك . لقد سبق لها أن فقدت الكثير وفكرة أن تفقده أيضا هي فكرة لا تحتمل. والآن وهي تكتشف بعينيها الحديقة فإن القلق المعتاد بدأ يتصاعد داخلها .. اين هو ؟

تركت عملها وعبرت الباب الخلفي ولمحت في الحال القميص الأحمر للصبي الصغير بين الفروع المنخفضة لشجرة بلوط ضخمة . لا شك انه يفكر في مكان الكوخ الذي يحلم بأن يبنيه بين الفروع من ستة أشهر. اختفى توترها وابتسمت ضاحكة من سذاجتها . إن "بن" في خير حال . إنه أروع طفل في العالم وأكثرهم قوة . ومع ذلك ارتكبت عدة أخطاء خاصة في البداية ولكن يبدو أنها اكتسبت مناعة على ما يبدو. إنه طفل في السابعة من عمره متوازن نفسيا بدرجة تثير الإعجاب .

بدلا من أن تعود إلى المطبخ جلست على الأرجوحة المعلقة على أحد

www.rewity.com
منتديات روايتي

فروع شجرة البلوط الضخمة القريبة من البيت ودفعتها قليلا .

إنها أرملة من أربع سنوات ووحيدة من ست سنوات مرت كأنها دهر. كانت "فيلدا" تقول لها باستمرار :إن عليها أن تختار أبا لابنها "بن" .

وكان والداها يعتبران كل الرجال الذين تتعامل معهم كأنهم أزواج المستقبل . وحتى "رالف" نفسه أفهمها بطريقة ملتوية أن زواجها مرة ثانية لن يسبب له ألماً ولكنها لم تكن واثقة بأن تفعل ذلك في يوم من الأيام . إنها لن تستطيع أبدا أن تحب رجلا كما أحبت "ديفيد" وبكافة المقاييس فإنها لن تسمح أبدا أن يحدث ذلك، أي أن تحب رجلا مثل "ديفيد". إن فقدها هذا الحب هو خسارة لا تعوض .

إنها وهي جالسة في الجزء الخلفي من بيتها الذي أعادت إصلاحه بتكاليف باهظة -فجاة- استعادت صورة نفس المكان من ثمانية أعوام مضت. هي نفسها لم تكن سوى شابة صغيرة في الثانية والعشرين من عمرها وساذجة تحترق من السعادة مع "ديفيد" الذي كان وهو في التاسعة والعشرين من عمره يبدو أكبر من سنه .

في يوم ما قبل أسبوعين من زواجهما ضلا الطريق. كان "ديفيد" دائما يضل ولا يعترف بذلك ويدعي أنه يكتشف طرقا جديدة.

وقتها لاحظا البيت في وقت واحد وقد علقت لافتة صغيرة على السياج تتطوح وسط الأعشاب البرية وعليها كتبت كلمة "للبيع" وقد بدت اللافتة قديمة قدم المبنى . فكرت "كاتي" أن المكان يصلح إطارا لتصوير فيلم خرافي ولكن "ديفيد" اعتبر المنزل شيئا آخر مختلفا، عندما استبعد منظر الفناء المتهدم والنوافذ المغلقة بعوارض خشبية ورأى أن المكان هو ملجؤهما وهو مكان لن يكون إلا لهما .

عند عودتهما من رحلة شهر العسل أخذت الإصلاحات طريقها ولكن البيت لا يكاد يصلح للسكنى ومع ذلك عاشا فيه وتبادلا الحب وسط

النقاشين والسباكين والنجارين.

وفي ليلة ما أثناء راحتهما أمام المدفأة في الحجرة التي ستصبح بعد ذلك حجرة نومهما . انتصب "ديفيد" في جلسته وتأملها بنظرات جادة . سألها وهو يشير إلى ما يمسكه بيده:

- هل يمكن أن تخبريني ما هذا ؟

أخذت "كاتي" تتأمل ذلك الوجه المحبب إليها والذي كان تأمله يجلب الابتسامة إلى شفتيها . كانت عيناه تفتنانها منذ أول لحظة للقائهما وكانتا- في نظرها- ذواتي لون أسود في البداية ثم بدأتا تتلونان إلى أن أصبحتا بلون العنبر . لم تكونا صفراوين مثل عيون القطط وإنما عنبريتان فعلا مثل العسل الصافي .

نظرت إلى ما قدمه لها قالت :

- إنها سدادة زجاجة عصير تفاح؟

- غلط ! إنها سدادة زجاجة عصير تفاح.

كان يتحدث بنبرة الأستاذ المتخصص في علم الاقتصاد :

- ولكن يجب عليك أن تذهبي إلى ما وراء المظهر . إنها تمثل هذه الليلة .. لقد تناولنا زجاجة باردة بأصابع اليد واحتسينا عصير التفاح في أكواب ورقية خاصة بالمستردة وجلسنا فوق سجادة يفوح منها رائحة التراب والطلاء . إن هذه السدادة تحتوي على كل هذه الذكريات هذه الليلة .. هل تتابعينني ؟

- حتى آخر العالم.

نهض واقفا وسحبها من ذراعها إلى خارج الحجرة :

- حسنا .. هيا تعالي لنخفي رمز خلودنا حتى لا يستطيع أحد أن يسرقه.

وصلا إلى الحديقة وكانت تتبعه وهو يفتش ويفحص الشجيرات

الضئيلة بحثا عن مخبأ جيد. استدار نحوها وناولها سدادة زجاجة عصير التفاح :

- هيـــا .. هذا المكان يمكن أن يصلح. والآن يجب عليك أن تقبلي السدادة.

اطاعته وهي تضحك . لقد كانت خاضعة لرغباته . أحسا بالبرد الشديد فهمس بصوت أبح :

- لماذا لم ترتدي ملابس ثقيلة . إن فكرة قضاء وقت طويل هنا فكرة ممتازة مثل بقية أفكاري .

- نحن لسنا هنا من أجل أن نتسامر .. لقد أتينا لندفن رمز الخلود.

- ولكن هذا ليس بعذر لعدم ارتداء ملابس ثقيلة.

ربت خدها قبل أن يبتعد ثم قبل السدادة في نفس المكان الذي قبلتها هي فيه، ثم وضعها في الفجوة الموجودة في الشجرة وهمس بصوت مليء بالعاطفة الجياشة:

- إنه من أجل الخلود لي ولك يا "كاتي".

كررت "كاتي" وراءه:

- من أجل الخلود.

همست "كاترين" في هذه اللحظة من استعادة الذكرى:

- من أجل الخلود.

واصلت ذكرياتها . لقد رحل بعد عامين ثم مات. رفعت "كاتي" رأسها واغمضت عينيها وهي تطوي في جوانحها اليأس المدمر والوحدة الرهيبة التي تهدد بأن تغرقها.

عندما رفعت عينيها وجدت رجلاً يقف أمامها تماما قريبا من بوابة الحديقة . ظلت لحظات بلا حركة وهي تفحصه من أعلاه لأسفله وهي تتساءل: هل.. هو حقيقة؟ ثم استعادت وعيها وأدركت ما تفعله ثم هبت

واقفة.

إنه شخص مجهول وبارز التقاطيع وكأنه تمثال نحت بيد فنان بارع. كم كان جذابا في خشونته! كان ضخما ولكنه هزيل للغاية وكأنه كان مريضا من وقت قريب وكان شعره طويلا بعض الشيء على عكس الموضة الجارية ويغطي ياقة قميصه القطني الأزرق . كانت يداه مدسوستين في جيبي بنطلونه الخلفيين . الذي كان من "الجينز" وكان مقاسه مضبوطا عليه تماما .

ظل الرجل صامتا وبلا حركة في مكانه وهو ينظر إليها بثبات نظرة ثاقبة وعميقة بدرجة تسبب القلق. وعندما بدأت عيناه في الغوص داخل عيني الشابة اجتاحها شعور غريب. إنه يبحث عن شيء ما لايجده. ثم هز رأسه ودار نصف دورة ليرحل . صاحت "كاترين" فثبت في مكانه فسارعت للحاق به :

- انتظر .. أنا أسفة لأنني لم أتصرف بأدب . لقد نسيت أن وكالة التجارة سترسلك إلي هذا اليوم، ثم إنك فاجأتني وأنا وسط أحلامي . ولكن تفضل بالدخول إذن . وسنحتسي القهوة وأعدك أن أركز على كلامك أثناء مناقشة المقاولة.

قادته حتى الباب الخلفي للبيت ودون أن تنتظر منه ردا قالت :

- إنني في حاجة ماسة إلى المساعدة . إن مديرة منزلي جعلت حياتي لاتطاق . وهذا ليس بجديد عليها، ولكنها الآن أصبحت أسوأ من المعتاد لأنه لم يعد لدينا شخص من عدة أسابيع . وإذا وصلنا إلى اتفاق فإنك ستزيح عن كاهلي عبئا ثقيلا .

لم يكن من عادتها أن تتحدث كثيرا هكذا لشخص مجهول . ولكن صمت رفيقها والطريقة التي يتأملها بها كانت تضع أعصابها في حالة توشك معها على الانفجار. ملأت قدحين من القهوة ووضعتهما على

WWW.REWITY.COM مـرمـوز

المائدة وأشارت للرجل أن يأخذ أحدهما وهي تقول :

- أرجوك أن تجلس . أنا "كاترين مور" وأعتقد أنك خمنت هذا الاسم . وما اسمك؟

مسح بضع قطرات من العرق من فوق جبينه وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يجيب:

- أنا "سمث" .. "ماكنزي سمث".

كان صوته منخفضا وحلوا وكأنه يحاول أن يخفيه . كان غريبا ومثيرا، وأحست الشابة بالرعدة الباردة تتسلل إلى ظهرها بينما توترت شعرات قفاها . عزت رد الفعل هذا إلى أن "سمث" فاجأها وهي في إحدى لحظات ضعفها وفيها تحرص على ألا يراها أحد. جلست أمامه وسألته :

- هل يمكن أن تحدثني عن أصحاب أعمالك السابقين وتخبرني ماذا تفعل؟

رن جرس التليفون في هذه اللحظة فقالت :

- أرجو المعذرة.

تلقت المكالمة من تليفون المطبخ وصاحت سعيدة:

- "دو جلاس"! منذ متى عدت؟

لاحظت أن المدعو "سمث" يراقبها باستمرار ولم يحاول أن يخفي اهتمامه بما تقوله في التليفون .

- أنا سعيدة أنك قمت برحلة جميلة .. هل ..؟ لا ليس هذا المساء لأنه مستحيل . عندي شخص على العشاء .. زوج "فيلدا" الأول .. إنها خدعة، ولكنك لا تستطيع أن تفهم . سأقضي الأمسية مع "جونيور تيبيدو" ولا يمكنك أن تحضر . إنك تجعله عصبيا أنت تتعمد ذلك وأعرف ذلك وعليك أن تعدني أن تقول لنفسك: إنه عمل صبياني .

ألقت نظرة على "سمث" ولاحظت أن تعبير وجهه تغير . لم يعد يبدو متنبها ولا مسترخيا وإنما يبدو ثائرا ؟ أو ربما يتعذب ؟ قالت لمحدثها "دوجلاس":

- هل يمكن أن تطلبني فيما بعد ؟ إنني مشغولة حاليا.. موافقة.. إلى اللقاء قريبا.

وضعت السماعة ثم حولت انتباهها إلى المجهول الجالس في مطبخها وقالت :

- هل كل شيء على ما يرام يا سيد "سمث"؟

ابتسم ابتسامة جافة:

- نعم.. نعم.. لا تشغلي بالك.

لم تلح "كاترين" . إن بعض الناس يعتبرون من الضعف أن يكونوا مرضى وهي تعرف أنه مريض . وعندما جلست في مقعدها أمامه ، لاحظت أن محدثها ينظر في فضول إلى الأوراق الموضوعة على المائدة .

قالت شارحة:

- يحدث أحيانا أن أعمل في المطبخ فضلا عن أن ذلك يزيد حدة صراخ "فيلدا".

- ماذا تعملين؟

تجرعت بعض القهوة:

- هل تعرف مركز غسيل السيارات السريع؟

رفع حاجبيه دهشة وقال:

- إنه مطلي باللونين الأحمر والأبيض .. أليس كذلك؟ لقد رأيت - على الأقل- دستة مراكز في الطريق .

- ليس هذا العدد وإنما لدي ستة مراكز في "دلاس" وضاحيتها.. نعم أنا صاحبتها وهناك عشرة فروع في كل الولاية وأنوي افتتاح مركزين

WWW.REWITY.COM

آخرين في "هوستون" خلال شهر أو اثنين في العام القادم.

انغلق الباب الخلفي في ضجة كالرعد . أعلن "بن" وهو يتسمر في مكانه بجوارها :

- ها قد حدث !.. لقد عثرت هذه المرة عليه. أولا سأنشئ الجدران ثم أفصل الباب والنوافذ وبهذه الطريقة..

قطع كلامه ليتأمل السيد "سمث" بإمعان شديد كما تأمل "كاترين" أيضا بنفس الإمعان من قليل. كان وجه الغريب مليئا بخليط من السعادة والعذاب. وأمام عنف مشاعره فكرت الشابة أن رؤيته الصبي قد أيقظت ذكريات غير عادية ومؤلمة . قالت بهدوء:

- أقدم لك ابني "بن". هذا هو السيد "سمث" الذي يمثل الرجل الذي يصنع كل شيء.

سأله "بن" وهو ينظر إليه نظرة فاحصة وناقدة:

- هل حقا تعرف أن تصنع كل شيء ؟ مثل إقامة كوخ داخل شجرة؟

هز المخاطب رأسه موافقا فقال "بن":

- حسنا .. إنني أعينك في هذه الوظيفة.

دار "بن" نصف دورة ليأخذ تفاحة من فوق سلة الفواكه الموضوعة فوق مائدة العمل.

- "بن"!

- إنني لن أستخدمه في عمل دائم يا أمي .

أخذ يمسح التفاحة في الـ "تي شيرت" الذي يرتديه .

- إن حوض الوجه في الحمام الصغير يصدر مثل هذا الصوت عندما أفرغه.

أصدر صوتاً يشبه ما يحدث في حوض الوجه المقصود.

- إنني أعتبر ذلك مسلياً ولكن ماما تقول: إن معظم الناس لا يحبون

ذلك. في الحقيقة إني أظن أن ذلك لا يبدو غريبا للسيد رغم أنه غريب في بيت "جوردان إيروين بنيت" ولكني لا أدري كيف يبدو لهم ذلك..

وجدت "كاترين" صعوبة في كتم ضحكتها .

- كفى يا "بن". إننا نحاول الحديث في الأعمال ولسنا في حاجة إليك في هذا الحديث .

ألقى الصبي الصغير نظرة إعجاب أخيرة على المجهول .

- أنا واثق بأنك ممتاز فليست أظافرك ناعمة.

سأله "سمث" بصوت أجش ورقيق وهو يرفع حاجبيه:

- أتظن أن هذا يثبت أنني رجل حقيقي؟

وافق "بن":

- بالضبط وهو ما نحن في حاجة إليه . أليس كذلك يا أمي ؟ إن "فيلدا" تقول دائما...

قالت "كاترين" ببطء:

- إلى الخارج...

لقد اكتفت بما دار من حديث حول هذا الموضوع وبحركة سريعة خرج وصفق الباب واختفى "بن" . قالت :

- أنا آسفة لهذه المقاطعة . لم أنجح بعد في إقناع "بن" أنني البالغة وهو الطفل . على أية حال فإن العمل ليس معقدا .. ليس عليك سوى القيام ببعض الإصلاحات وتركيب الرفوف ولن تواجه أي مشكلة . ولكني متمسكة تماما بخطاب التوصية . لتعلم أن الرجل الذي سأكلفه بالعمل سيسكن عندنا فوق الجراج ولابد أن يكون على اتصال بابني..

- إن "رالف" هو الذي أرسلني وليست الوكالة......

كان "رالف" بمثابة الأب لـ "ديفيد" ولكنه أصبح أيضا صديق "كاترين" وبدونه ربما لم تكن لتحتمل وفاة زوجها . قالت معلقة:

WWW.REWITY.COM

-لابد أن تكون قديسا إذن . إن "رالف" حريص على حمايتنا "بن" وإياي.

أعلنت "فيلدا" بصوت جهوري وهي تتوغل في المطبخ:

- لقد عدت!

رفعت "كاترين" عينيها إلى السماء وقد شعرت بالحنق من هذه المقاطعة الجديدة:

- اقدم لك يا "فيلدا" السيد "سمث". إنه مهتم بالحصول على عمل "رجل كل شيء"

تحولت إلى "سمث" الذي نهض من مجلسه . صاحت "فيلدا" فجأة وهي تشير إلى شيء خلفه:

- يا إلهي ! ولكن ما هذا ؟

استدار واستغلت هذه الفرصة لتفحص نحافة وسطه داخل الجينز. وقد عبرت عن إعجابهابنظراتها الدهشة . واجههما "سمث" وهو يتاملهما الواحدة بعد الأخرى وقال :

- أنا لم أر شيئا!

ابتسمت "فيلدا" وقالت دون أن يبدو عليها شيء:

- لابد أن الأمر اختلط علي .

ثم تحولت إلى "كاترين" دون أن تغادر عيناها الغريب .

- متى سيبدأ العمل؟

- لابد أن اتحدث مع "رالف" ولكني أعتقد تماما انك ستنال الوظيفة . ساريك شقتك وسنتحدث عن الراتب .. هل يمكن أن تبدأ من الغد؟ هذا إذا كنت لازلت مهتما بالوظيفة طبعا.

قال مؤكدا :

- أنا مهتم ولكني افضل أن اشاهد الشقة غدا، أما بالنسبة للمرتب

فاعطيني ما يبدو لك مناسبا. أن أحصل على سقف يظللني وسرير انام عليه وطعام أكله هو أكثر مما كنت أطمع فيه من مدة طويلة. بعد ذلك فتح الباب الخلفي وتركهما دون اي تفسير .

همست "كاترين":

- شخص غريب الاطوار!

علقت "فيلدا":

- جذاب .. إنني اعشق تقاطيعه الخشنة .. ثم هل رأيت عينيه ؟ إنهما مذهلتان!

- ليس لهذه الدرجة. فعينا "ديفيد" كانتا بالضبط بنفس اللون .

لاشك أن "كاترين" لاحظت حدقتي الرجل المجهول .

- ليس هذا ما اقصده . إن له نظرة تائهة وفي رأيي فإن رجلنا لكافة الأعمال لم يحظ بحياة مريحة .

الفصل الرابع

قال "رالف" بصوت عاصف:

- كان عليك أن تخبرني على الاقل . عندما اتصلت بي "كاترين" لتسالني عن المدعو "ماكنزي سمث" لم افهم شيئا .

كان "ديفيد" قد انتهى من أول يوم عمل . وكان "بن" في المدرسة و"كاترين" غائبة من اجل اعمالها وبقي بمصاحبة "فيلدا" التي أرته كل ما يجب أن يصنعه في البيت .و في نفس الوقت اخذت تسخر من الحياة بصفة عامة ومن صاحبة العمل ومن الطفل مما حاز رضاء محدثها . كان "ديفيد" قد طلب من صديقه العجوز "رالف" بعض الطلبات المتواضعة وجاء صديقه لزيارته في فترة ما بعد الظهر في ماواه الجديد.

من ست سنوات مضت كانت الشقة التي تقع فوق الجراج مخصصة للضيوف . وقد اقام فيها والدا "كاتي" عندما كانا يقومان بالزيارة

المعتادة وكانا من الطيبة بحيث كان حرصهما على راحتها لم يكن ليزعج الشابة.واليوم فقد جهزت الحجرات الثلاث بطريقة عادية بغرض الايطبعها من يشغلها بطابعه الخاص. ولم يكن لدى "ديفيد" نية تغييرها. لقد كان المكان نظيفا ومرتبا ومريحا وباب الدخول مزودا بترباس قوي وهو كل ما كان بحاجة إليه. استمر "رالف" غير مصدق :

- رجل كل الأعمال".. لا .. ولكن ماذا تتصور ؟ هل تتذكر المصباح الذي ركبته في المحل ؟ لقد اوشكت ان أصاب بصدمة كهربائية بسببه . لا أريد أن أكون فظا معك يا فتى ! ولكنك كنت دائما جاهلا في المسائل الحرفية.

ابتسم "ديفيد" ابتسامة مريرة:

- الأمر يختلف . لقد استطعت أن افعل امورا كثيرة خاصة عندما تصبح المسالة حياة أو موتا. لقد اهتممت بالعمل اليدوي من ست سنوات .

سب "رالف" ولعن بصوت منخفض وهو يحاول أن يخفي قلقه:

- اين كنت في تلك الليلة ؟ عندما فهمت انك لم تخبرها ولم اشاهدك تعود .. لقد تملكني القلق.

- انا آسف . لقد تمشيت . لم أستطع أن اخبرها يا "رالف" . لقد تجولت بالسيارة . كان لابد لي أن افكر .. لقد اوشكت أن افعل يا "رالف" عدة مرات. ولكني لم أستطع أن استجمع شجاعتي وافعلها .

أخذ "ديفيد" نفساً عميقاً بينما قال له "رالف" :

- لقد ظننت فعلا انك ستجد صعوبة في التاقلم .

- أعرف أن الأمور ستتغير وأن الحياة ببساطة لن تتوقف بدعوى انني لم اكن موجودا هنا واعتقدت انني أستطيع أن أواجه الأمر ولكني كنت مخطئا. انا لا أستطيع أن أصل إلى هنا وأقول ببساطة "مرحبا"

لقد وصلت.. ولست بنفس الرأس ولا نفس الصوت ولكنني أنا "ديفيد" نفسه وعليك أن تجعلي لي مكانا معك...

لقد قضى وقتا طويلا طوال السنوات الست الماضية في تخيل ما سيفعله عندما يعود إلى "دلاس" ولكنه لم يفكر مرة واحدة في المشاكل التي ستنشأ لا محالة نتيجة عودة ظهوره . استأنف كلامه في مرارة :

- إنك لم تخبرني أنها ملكة مغاسل السيارات الآلية . إن لديها واحدا من تلك المراكز الملعونة في كل ركن من أي شارع ! لقد كانت تتسلى تماما وأنا لم أكن موجودا .. أليس كذلك؟ وأتساءل:هل ستتذكر كل عشاقها؟

عندما تعرف "ديفيد" على "كاتي" كانت بريئة ويمكن الوثوق بها وكريمة ورقيقة وخجولا.

أما المرأة التي تلقته هنا فلم تكن خجولا على الإطلاق. في ليلة لقائهما ذهب إلى مكتبة البلدية ليراجع المجلات والجرائد المحلية في السنوات الأخيرة وقد نسخ كل المقالات التي تحدثت عن زوجته. لقد تحدثوا باستفاضة عن حياتها الخاصة أكثر من عملها وبدا له أن "كاترين" تستبدل الرجال كما تستبدل المناديل الورقية . اعترض "رالف" في ملل:

- لم يبق إلا هذا . حسنا. إنها سيدة أعمال ولها بعض الأصدقاء،ولكن ليس هذا هو الذي جعلك تتردد.

لاشك أن "رالف" كان على حق فهناك أمر آخر. قال "ديفيد" بخشونة:

- أنا لم أعثر على "كاتي" وإنما رأيت امرأة شديدة الجمال ومثيرة للغاية ولكنها ليست "كاتي" التي أعرفها. أنا لم أتعرف عليها .

نعم لقد اختفت "كاتي" الخاصة به لتحل محلها "كاترين". وفي الوقت الذي كانت فيه حاجته الملحة واليائسة في أن يراها مرة ثانية -

السبب في بقائه وكفاحه ليعيش خلال ست سنوات طويلة وها هي قد اختفت تماما كما حدث في حلمه أو بالأحرى كابوسه . وها هو الآن وحيد وسط التيه .. لا. ليس وحيدا ! أعلن :

- لا. لست وحيدا وساعتني بابني.

كانت إحدى الجرائد قد ألمحت في آخر مقالاتها الحديثة إلى أن "كاترين مور" على وشك أن تتزوج مرة ثانية وكل المدينة كانت تتساءل: عن سعيد الحظ الذي وقع عليه الاختيار . أكمل حديثه:

- لقد قبلت هذه الوظيفة دون أن أدري ماذا أفعل لأن ذهني كان مشوشا ولكنها -على أية حال- فكرة لابأس بها . لقد أردت أن أكون بجوار "بن" لأطمئن على أنه سعيد.

- وإذا لم تكن الحالة هكذا ؟

- لست أدري، ولكني سأرى وقتها ما يجب علي أن أفعله.

أنهى "ديفيد" المحادثة وهو يستقر في مقعد وثير أمام النافذة التي تطل على الحديقة .

دار "رالف" على عقبيه وخرج . ورغم قلقه فقد فهم أن ربيبه لايزال غير قادر على الحديث عن أمور معينة مادام في غير سلام مع نفسه. كان "ديفيد" يفكر أن عليه أن يكتشف: لماذا يحقد- لهذه الدرجة- على تلك المرأة الغريبة التي سبق أن تزوجها في يوم من الأيام؟ كان وهو بعيد من السهل عليه أن يتصور سهولة تأقلمه على الحرية ولكن عن قرب أصبح الأمر أكثر صعوبة. هل سيأتي اليوم الذي لا يستيقظ فيه مفزوعا وهو غارق في عرق مثلج ؟ متى سيتمكن من الذهاب والعودة على راحته وأن يظل هادئا ومسترخيا ؟

هل ستعني كلمة حرية في يوم ما شيئا بالنسبة له؟

عندما انفتح الباب وجد نفسه واقفا بطريقة آلية وهو في وضع

الدفاع حتى قبل أن يدخل "بن" الحجرة.

شرح القادم:

- لقد طرقت الباب ولكنك لم تسمعني . كنت أعلم أنك موجود بالداخل لأنني رأيتك وأنا قابع فوق شجرة البلوط.

زفر "ديفيد" الهواء ببطء وحاول الاسترخاء.أخذ يفحص الطفل .. طفله ذا الأعوام السبعة وداخله شيء ما يرفض الفكرة . عندما رأى "بن" آخر مرة -لو استبعدنا الليلة الماضية- لم يكن طفله وقتها سوى رضيع والآن فقد أوشك أن يصل إلى سن الفهم والتعقل . كان "ديفيد" يتحرق شوقا لأن يضمه إلى صدره ويعتصره بين ذراعيه .. هل من المعقول أن يمثل دور الغريب مع ابنه؟ وعد نفسه أن ذلك لن يستمر زمنا طويلا .. ببساطة لابد أن يعوض السنوات الضائعة .. كل السنوات. تابع "بن" حديثه:

- لقد كنت مختبئا.

قال "ديفيد" متظاهرا بعدم الاكتراث:

- حقا ؟ ولكني كنت أراك مع ذلك جيدا.

زفر الصبي معترضا :

- لم أكن لأتخفى منك وإنما من "جريج". لم أكن لأريده أن يراني.

أخذ الطفل يتسكع داخل الحجرة في فضول .

- لقد أخبرني أن أناديه العم "جريج" . ولكن لما لم نكن من نفس العائلة فماذا يدعوني لأن أفعل ذلك؟ أليس عندك صور فوتوغرافية ؟ أنا عندي الكثير. وفي كل أنحاء البيت .. إنها صور أخوالي وأعمامي وخالاتي وعماتي وأبناء العمومة و جدودي وهناك العديد من صور أبي، هل تريد أن ترى إحداها ؟ يمكنني أن أذهب لإحضارها دون أن يشاهدوني وأعود لأريك إياها وهي المفضلة عندي التي فيها يمتطي

WWW.REWITY.COM

الجواد .. وأمي تقول: إنه كان أستاذا للاقتصاد في الكلية . إنه مهتم بالتجارة وأمور مشابهة.

كان قد نطق هذه العبارات الأخيرة بلهجة باهتة وكأنه يتحدث عن أشياء شاهدها في فيلم لا علاقة لها بالواقع . سأله "ديفيد" في رقة:

- هل تشتاق إليه؟

اعترف"بن":

- نعم . لقد كنت صغيرا جدا عندما مات ولكني أحس كأنني لازلت أتذكره . إنني أحتفظ بصوره وأقول: إنه يمتطي الخيل ويلعب البيسبول ويقوم بأعمال مشابهة.

ألقى الصبي على "ديفيد" نظرة غاضبة :

- ولكن ليس معنى هذا أن على أمي أن تتزوج أحد أصدقائها لمجرد أن يكون لي أب. إن هذا لن ينجح على أية حال.

- ولماذا ؟

هز الصبي رأسه وهو يدير عينيه بحركات معبرة:

- إنهما مغفلان .. في الحقيقة :"جونيور" ليس سيئا ولكنه ليس رياضياً على الإطلاق . إنه دائما مرتد بذلته بشكل واضح . لو كنت محتاجاً فعلا لأب كما تقول "فيلدا"فلا أفهم حقا لماذا لا أستطيع أن أختار واحدا على مزاجي . إنني سأجد دون شك ألف واحد أفضل من "جونيور" مثلا: "البريت" أو "جريج".

- حقا ؟

- مؤكد! مثلا السيد " شيروود" والد " بوبي شيروود" لقد هربت زوجته مع راعي بقر قذر ولم تعد له زوجة. لقد جعلته يأتي للبيت لأقدمه لأمي وقد أعجبته كثيرا . وقد دعاها في إحدى الأمسيات حيث جرت مسابقة لمن يستطيع أن يكسب مباراة لتناول الشراب بأكل أكبر

قدر من الفلفل الحريف دون أن يصاب بالمرض .. ولكنها لم ترغب في الذهاب.

أمسك "ديفيد" عن الضحك وقال:

– حسب ما قلته لي يا "بن" عن السيد " شيروود" فإنه يبدو ممتازا . ما الذي كانت تعيبه عليه؟

زمجر "بن":

– إنه زير نساء . وهي تعتبره سوقي الكلام ولا تحب منه أن يبصق على الأرض . لقد كررت علي عددا لا أذكره من المرات الا اعتب على الآخرين لأنهم ليسوا مثلنا ولكنها تفعل ذلك بالضبط معي. إنها تدعي ان الامر مختلف وانها ستصارع حتى الموت ولكنْ لها حقوقاً هي ايضا خاصة حق عدم اختيار الرجال الذين يبصقون على الارض.

هذه المرة ابتسم "ديفيد" ابتسامة واسعة :

– إن لديك رصيداً من المقررات الرائعة بالنسبة لسنك :

علق "بن":

– لقد أجروا لي اختبارا في الذكاء في العام الماضي . وقد تفوقت على الجميع لقد أرادوا أن ينقلوني إلى السنة الدراسية التالية ولكني لم أوافق كما أن أمي رفضت . إنها تقدم لي دروسا خصوصية حيث أتعلم العديد من الأشياء المهمة والمثيرة . وبهذه الطريقة اصبح غبيا مثل الآخرين .

اعترف "ديفيد":

– هذه فكرة لاباس بها .

لم يكن "ديفيد" ليستسيغ على الإطلاق ان "كاترين" قد حلت مشكلة الوحدة بالنسبة لابنها بطريقة جيدة لان ذلك يجبره على الإعجاب باعمال تلك المراة المجهولة . إن الأمور كان من الممكن أن تكون اسهل

بالنسبة له لو لم ترتكب هذه الأخطاء . لابد أن ينتبه ولا بد له أن يتخذ قرارات تؤثر على مستقبل ابنه ويجب أن يكون ذلك هدفه.

خرجت "كاترين" إلى الحديقة. ووصلها رنين الضحكات الآتية من نافذة الشقة التي فوق الجراج، وفي الحال اتجهت إليها . وعندما وصلت إلى اعلى الدرج رأت "بن" من خلال الباب المفتوح وقد قبع فوق مقعد ذي مساند في نهاية الغرفة، بينما كان "سمث" بعيدا عن مجال بصرها ولكنه فجاة ظهر بتاثير الساحر امامها على العتبة . اعلن وقد ثبت عينيه عليها :

– أحدهم عثر عليك يا "بن"!

استمرت الشابة في التقدم ،كما أنه انتحى جانبا ليدعها تمر . وقفت ثابتة أمام ابنها وقد وضعت يديها في وسطها .

– لقد قدمت اعتذاراتي عن اختفائك وقد كان من كرم الأخلاق بحيث قبلها بشرط الا يتكرر ذلك مرة ثانية . انا جادة يا "بن" في انك لو تصرفت بوقاحة أمامه فإنني ساطلب منه أن يقرأ عليك حكاية ما قبل النوم.

– افضل أن تحرميني من الطعام حتى الموت أو أن تحبسيني في الدولاب مع العناكب السوداء السامة . أو حتى تقطعي يدي.

نظر الصبي إلى "ماكنزي" وقال له:

– إنه يقرأ علي كتب الأطفال . وأخرحكاية قراهاهي: حكاية "الحسناء في الغابة النائمة". والأدهى وأمر انه حاول أن يقلد صوت الأميرة!

قاطعته "كاترين" وهي تصارع لتحتفظ بجديتها:

– كفى! .. عد إلى المنزل . وقل مساء الخير لـ"جريج" ثم اذهب إلى الحمام وخذ حماما .. مفهوم ؟ افعل بالضبط كما أخبرتك . وارتد ملابس داخلية نظيفة ...

رحل الصبي وهو يهمهم : لن أناديه العم "جريج" لأنه ليس عمي ولست أدري لماذا علي أن ..." استدارت "كاترين" نحو "سمث" وعلى فمها ابتسامة اعتذار.

- إنني أحذرك . إنه سيغزوك لو سمحت له بذلك.

قطبت جبينها فجأة وصاحت:

- يا إلهي! لقد نسيت أن أخبره أن يستحم بالصابون. أحيانا ما أنسى ذلك . لست أدري لماذا يكره الصبية الاستحمام؟

أضافت وهي تتجه نحو الباب:

- أنا أسفة لأنه أزعجك ولا تتحرج من أن ترسله للشيطان في المرة القادمة، وإن كان ذلك لن يفلح ولكن على أية حال عليك أن تجرب .

- إنه لا يزعجني .

كان في صوت "ديفيد" شيء من الخشونة جعل "كاترين" تستدير نحوه وربما كان فيه أيضا نوع من التصميم .

- إنه يختفي من صديقك .وحسب ما قاله لي فإن الحق معه، فإن العم "جريج" هو النوع الذي يجب أن يتجنبه بالذات.

ظلت لحظات دهشة ثم اجتاحتها ثورة من الغضب سألته بخشونة:

- وما شأنك بذلك؟ ليس معنى أن ابني تدخل في خصوصياتك يعطيك الحق أن تفعل مثله. وإذا كنت قد اعتدت الحديث مع أصحاب العمل بهذه الطريقة فلن أدهش من سبب وجودك بلا عمل.

ساد الصمت بعد هذه الكلمات وكان من الواضح أنه مزعج بالنسبة لها أكثر من محدثها . قال أخيرا بصوت رقيق متعثر :

- لم تذكري ذلك أمس .. هل يجب أن أخر على ركبتي عند مرورك وأتجنب أن أرفع عيني نحوك . أم تفضلين شيئا أكثر رقة ؟ أم أعترف بمسلكي المتواضع وأنك أرفع مني مقاماً من الناحية الاجتماعية مثلا؟

أدركت وهي دهشة أنه يسيطر على الموقف . ما معنى ذلك ؟ كان من الواضح أنه ذكي ومثقف. فلماذا إذن قبل هذه الوظيفة : وظيفة "رجل كل شيء"؟

لابد أن تسأل "رالف" عنه . قالت أخيرا :

- لا تكن غبيا . لا أنتظر منك خارج عملك أي شيء سوى قليل من الأدب . ويمكنك ذلك دون شك..

طرفت برموشها . لم تشاهده يتحرك ولكنه كان موجودا بالقرب منها.. جدا .

اضطرت أن تظل بلا حركة منتظمة الأنفاس رغم رغبتها في الهروب . من الأفضل لها أن تبين له أنها لا يمكن إرهابها بسهولة . أخذ يتأملها من أعلى رأسها إلى أخمصي قدميها في إلحاح . كان تعبيره وقحا . إذا استدارت فإن ذلك سيكون علامة ضعفها وعلى "كاترين" أن تتحمل هذه المحنة دون أن يرمش لها جفن . استمر الأمر هكذا وقتا طويلا إلى أن أحست بتيار كهربائي يسري في عنقها وصدرها.

فجأة أدركت ما يفعله .. إنه يختبرها ويثيرها ويربكها من أجل أن يكتشف نقاط ضعفها . لا، إنه لن يعثر على أي منها . إنها تخفي ببراعة كل نقاط ضعفها تحت القناع الذي تظهر به أمام كل الناس. ثم إنها لم تعد ضعيفة فالمرء عندما يتظاهر طويلا بأنه قوي فإنه ينتهي بأن يصبح فعلا قويا.

ومع ذلك فقد حان الوقت لتضع حدا لهذه اللعبة، فهي مشغولة جدا بحيث لن تعير انتباها لهذه الأعمال الصبيانية. أعلنت أخيرا والابتسامة تعلو شفتيها :

- أريد الآن أن الحق بضيفي.

- افعلي ذلك إذن.

كان صوت "سمث" خاليا من التعبير، ولكنّ عينيه الرائعتين بلونهما العنبري كانتا تلمعان من السرور لقد ربح هكذا . ولكنها فكرت أن هذه ليست الحقيقة لأنها هي التي نالت الفوز . وياله من فوز!

هبطت الدرج ثم اتجهت إلى الحديقة حيث وقفت ثابتة وسطها . لقد فقدت روحها المرحة ! وهذه ليست غلطة "سمث"!

كان من الواجب عليها أن تلقي به خارجا . إنها ستعود لمقابلته وفي هذه اللحظة بالذات..

ولكن هذا مستحيل فإن "فيلدا" ستقتلها، والأسوأ من ذلك هو انه سيظن انها تنتقم منه بطريقة وضيعة لأنه انتصر عليها . في الوقت الذي كانت هي فيه الفائزة . استأنفت الشابة سيرها وهي تبتسم .إن رجلها الجديد في الحقيقة متعجرف ومغرور ومزعج، ولكن عليها أن تعترف له بفضل انه اعاد لها حيويتها وهو ما لم يحدث لها من وقت طويل .

WWW.REWITY.COM
مرمورية

الفصل الخامس

انتقلت "كاترين" من الحمام إلى حجرتها وقد ارتدت روب الحمام الساتان الأسود . قال لها "بن":

- لو أن لك تاجاً و"صولجان" لبدا عليك مظهر الملكة فعلا غير انه عليك أن ترتدي روباً أبيض وليس أسود لأن الملكات الشريرات هن فقط اللاتي يرتدين الاسودثم الملكات الشريرات ليس شعرهن أشقر ولكن شعرهن أسود واظافرهن..

- هل يمكن أن تصعد فوق المقعد وتغلق لي السوستة من فضلك؟

نهض "بن" ووقف فوق المقعد وهو يكمل حديثه:

- طويلة جدا ولونها احمر فاقع واخضر ولكن فقط عندما يحولن الرجال إلى ثعابين او طيور مفزعة... إن لدي فكرة : لماذا لا تأتين معنا؟ إن "فيلدا" ستصحبني لأرى آخر فيلم لسلاحف النينجا وعندما نعود فإن "ماك" سيعلمنا لعبة جديدة من العاب الورق.

كررت قوله ببطء:

– سلاحف النينجا ولعبة الورق .. إنه أمر مغر ولكني وعدت "بيتر البرايت" أن أصحبه إلى حفل القمر الراقص.

قفز "بن" من فوق الكرسي وهبط على الأرض في ضجة:

– لقد قلت بنفسك: إن الحفل عمل من أعمال السحرة وإنك ستحضرينه من أجل الأعمال . لابد أن تتمتعي أحيانا .

احتضنته بسرعة وردت:

– لطيف منك أن تفكر في . وأعدك أن المرة القادمة التي أخرج فيها ستكون من أجل المتعة .

– بالضبط. أنت لست مضطرة للخروج وما عليك سوى أن تظلي في البيت معي ومع "ماك" وسيكون رائعا وسترين ذلك . وهو أيضا لا يبصق على الأرض.

كان "بن" يتحدث بلهجة انتصار . كان يعتقد أن رجلهم الجديد الذي يفعل كل شيء أنه فعلا يمكنه أن يقوم بكل شيء . فإن كوخه يجري حاليا إنشاؤه في شجرة البلوط . إنه كان مهتما جدا به مثل "سمث" الذي كان إما يقوم بنشر الخشب أو يستخدم المطرقة بجواره . لقد أنشأ الكوخ معا وهذا يعني أن الطفل سيكون فخورا به عندما يتم.

كانت "فيلدا" تقول: إذا كان الطفل قد تعلق بـ"ماك" بهذه السرعة والقوة فهذا يعني أنه في قرارة نفسه في حاجة إلى أب . وردت "كاترين": إنها لو قضت نصف الوقت في مشاهدة مسلسل "ديناستي" والاهتمام بشؤون الآخرين فإن الأمور لن تسير أفضل من ذلك . فضلا عن ادعاء أن الطفل مشوش، إلا أن طفلها أظهر أنه دقيق في اختيار الأب البديل فهو لم يظهر أي عاطفة نحو أصدقائها.

وكان رد "فيلدا" على هذه الإجابة عادة مقتضبا. "سمث" أو "ماك" كما

يحلو للطفل أن يناديه كان يعيش معهم من أسبوعين ونصف وكان يؤدي عمله على أكمل وجه وكان ذلك يحظى برضاء "فيلدا" التام ولما كان– من ناحية أخرى– يقدر الطهي فقد اعتبرت ذلك من مميزاته .

ورغم احتكاكهما في أول يوم فقد كانت العلاقة بينه وبين "كاترين" علاقة ربة عمل بعاملها . وبطريقة طبيعية لم يعودا يتقابلان. ومع ذلك فقد كانت "كاترين تحس بوجوده في البيت .. لقد طبع "سمث" البيت بطابعه وبذلك النشاط الكهربائي الذي يمكنه من إنهاء كل ما يكلف به .

كانت "فيلدا" و"بن" يقابلانه كثيرا وكان بمثابة صديق لهما يثقان به. وأحيانا عندما كانت "كاترين" تعمل طويلا أو لم تنم بما فيه الكفاية كان يسودها إحساس بأن هذا الرجل بصوته الأجش وعينيه العسليتين يحاول أن يسرق منها أسرتها وكان هذا تفكير غبي دون شك.

طردت "كاترين" "سمث" من أفكارها وذهبت لتفحص صورتها في المرآة الكبيرة التي تصل إلى الأرض. كان ثوبها يهبط في كسرات متجسمة والخصلة التي تزين رقبتها كانت لا مثيل لجمالها . سألها "بن":

– هل سيأتي "بيتر" لاصطحابك؟

– لا .. علي أن ألقاه هناك وبهذه الطريقة يمكنني أن أرحل في الوقت الذي أحبه .

– متى بدأ يقص عليك قصة حياته في "إنجلترا " في الفترة التي كان فيها صديقا للوزير مثلا ..

تصنعت الابتسام . أحيانا ما يكون "بن" لحوحا .

إن "بيتر البرايت" الرحالة العظيم كان قادرا على أن يسبب النعاس لأي شخص عندما يبدأ الحديث عن السنتين اللتين قضاهما في "لندن" وعن كل المشاهير الذين قابلهم هناك وتعرف عليهم .

تركت الحجرة هي وابنها و"فيلدا" واجتمعوا عند أسفل السلم قال لها "بن":

- تمتعي كثيرا !

ابتسمت "كاترين" وألقت نظرة حادة على ابنها:

- وأنت لا تحاول أن تلعب دور الطفل الضحية حتى تحظى بعلبة حلوى ضخمة .. هل فهمت ؟ إن لك الحق في كيس من الفيشار وعلبة كوكا وهذا وعد نهائي !

- مفهوم يا "ريس"!

انحنى الطفل ليراقب خلفها "ماك" وقال:

- مرحبا يا "ماك" إلى اللقاء قريبا وأعد لنا أوراق اللعب. استدارت الشابة حول نفسها . كان "سمث" واقفا على عتبة صالة الطعام . ورغم أنها بدت مسترخية إلا أنها أحست نشاطا غريبا ينبعث منه ويحيط بها ويوصل لها نوعاً من العصبية جعلت جلدها يقشعر. قال هو أيضا لـ"بن" و"فيلدا":

- تمتعا بوقتكما وسأكون مستعدا للعب عند عودتكما .

أغلق الباب خلفهما وأخذت "كاترين" تتطلع إلى موظفها متسائلة:

- من الأفضل أن أعرف موضوع "حصالته" هذه ؟

هز رأسه ودار على عقبيه . رن جرس التليفون، رفعت السماعة ووقف "سمث" مسمرا في مكانه ثم استدار وأخذ يتلصص دون خجل على المحادثة ومع ذلك لم يسمع شيئا كبيرا، فقد اكتفت الشابة بعبارات مقتضبة بينما كان يقدم لها "بيتر البرايت" اعتذارات طويلة لأنه لا يستطيع مقابلتها في الموعد المحدد لذلك. شرحت بعد أن وضعت السماعة مكانها :

- إنها مشكلة بسيطة مع زوجته السابقة وقد طارت الحفلة الراقصة

ويبدو أنني ساكتفي بسانديوتش زبدة الفول السوداني.

لم يجبها رفيقها في الحال . وإنما أخذ يتأملها وكأنما يحاول أن يقيس مدى خيبة رجائها ثم قال أخيرا :

- إنني على وشك الخروج لأكل لقمة . ليس في مطعم فخم طبعا، وليست لدي النية بعد ذلك للذهاب لحفلة ساهرة ماجنة ولكن هذا - على أية حال- أفضل من التهام سانديوتش بمفردك في هذا البيت الفسيح فإذا كان هذا مغريا ...

ظلت "كاترين" لحظات وهي مذهولة . هل حتى هذه الدرجة وصل عدم استساغة "سمث" لها من الوضوح رغم أنه غير مفهوم السبب؟ ومع ذلك فهمت أنه لا يعرض عليها دعوة ملزمة بسبب الظروف وإنما هو تحد لايكاد يخفيه. إنه يلقي بالقفاز في وجهها . استأنف الحديث في تهكم :

- أؤكد لك أنني هناك حيث أنوي الذهاب. لن تغامري بمقابلة أحد معارفك .. ولن يعرف أحد أنك خرجت للعشاء مع "رجلك لجميع الأعمال" إذا كان هذا ما يخيفك.

أجابته وهي متخشبة:

- لست خائفة.

- إذن ؟

- لم لا وربي ؟ اسمح لي بدقيقتين حتى أغير ملابسي.

عندما وصلت حجرتها وبينما كانت ترتدي "بنطلون" أخضر و"بلوفر" منقوشا تساءلت: هل هي على حق في قبول دعوته وهو شبه مجهول والذي -منذ لقائهما الأول- يحاول كل المستطاع أن يضايقها؟ ولكنها في حضوره تحس بالنشاط وأنها على راحتها وفي نفس الوقت عدوانية وقلقة وغير مستقرة على رأي ومثارة بطريقة غير عادية ولم يكن هذا بالضرورة سيئا وإنما غير عادي .

عندما عادت وهبطت السلم مرة ثانية اكتشفت وهي دهشة انها سعيدة بالذهاب معه للعشاء . وربما كان ذلك لانها تشعر بفضول لان تعرف لماذا يسحر ابنها و"فيلدا"؟ او ربما ببساطة لانها تحتاج للاسترخاء . ايا كان السبب فقد مر وقت طويل جدا منذ ان كان تخيل قضاء سهرة في الخارج يسعدها .

تطلب الأمر منهما ربع الساعة ليصلا إلى المطعم "لافتري دي بادي" والذي تشير لافتته إلى انه يقدم هامبورجر الاحلام . وكان مبنى طويلا منخفضا يرجع إلى الخمسينات والذي بدا عليه القدم تماما وانه قابل للهدم . قال "سمث" مطمئنا رفيقته:

– إن الداخل افضل من الخارج.

لم يكن ذلك صحيحا . كان المبنى نظيفا جدا ولكنه فقير فالأرضية متهالكة والموائد الصغيرة المربعة عفا عليها الدهر والمقاعد من البلاستيك والكروم ،ويوجد جهاز موسيقى يعمل بالعملة ضخم حيث يشيع في المكان موسيقى الريف الصاخبة.

وكانت الموائد محملة بشكل رهيب بالملاحات المليئة بالملح والفلفل والشطة والكاري وسكريات وحاملات شموع وحاملات مناشف وزجاجات صغيرة من الخل وعصير الليمون والكاتشاب والزيت . وكان من المستحيل ان يتكئ عليها الزبون بمرفقيه ومن المشكوك فيه أن يوجد مكان للطعام.

وكانت النادلات من الذكاء بحيث يختفين بعد تلقي الطلبات وعندما تصبح الوجبة جاهزة يصيح رجل ضخم الجثة حول وسطه مريلة بيضاء: "هاي"! بصوت يجعل كل الصالة تتحول بانظارها نحوه وهو يسير إلى الزبون الغبي وعلى الأخير أن يذهب بنفسه لإحضار طلبه من فوق مائدة التسليم.

وعندما جاء دور "سمث" عاد إلى مائدتهما ومعه كيس من الورق مكتوب عليه بعض الكلمات غير المفهومة وعبارة "خضراء مغرية" سالته "كاترين":

– ما معنى هذه العبارة "خضراء مغرية" هل هو طبق مميز للمحل ؟

– إن صاحب المحل " بادي" يعلم الطلبات على الكيس مباشرة... الم تلاحظي ذلك ؟ ثم يضيف من عنده ملحوظة عن العميل ليتذكر من يخصه. ولما كان قميصي أسود فإنني استنتج انه لاحظ ملابسك ..

قالت هامسة وقد علت الحمرة خديها :

– ملاحظة في محلها .

في الحقيقة كان الهامبورجر لذيذا بل ممتازا. وقد أعد بالطريقة القديمة وحجمه ضخم ومصنوع من لحم جيد وطازج وليس من لحم مجمد. اما البطاطس المقلية المعدة ايضا من بطاطس طازجة فكانت دسمة ولذيذة وكانت الحلوى مكونة من تورتة المشمش بالكريمة.

سالته الشابة متهكمة وهي تمسح الصلصة التي سالت على خدها:

– الا يوجد شيء أكثر دسما من هذا ؟ إن ما يقدمه من دهون يمكن ان يسد جميع الشرايين التاجية لسكان "تكساس".

سالها "ماكنزي":

– هل تريدين زجاجة صودا لتساعدك على الهضم؟

– هذا أحسن اختراع في العالم ، فالصودا تخفف من نسبة الكوليستيرول في الدم . أليس كذلك؟

– على الإطلاق ،ولكن إذا احتسيت زجاجة او اثنتين فإن الكوليستيرول لا يعود له اهمية على الإطلاق.

قطع كلامه ولف المنشفة على شكل كرة ثم نظر بعيدا:

– أريد أن أسالك عن شيء ولكني لست أدري: هل بإمكان الموظف أن

يسال صاحب العمل ؟

- إننا لسنا في الخدمة الآن .. فهيا . اسال !

أخذ ينظر إليها بإمعان وقد بدا عليه الحيرة والفضول:

- لماذا مراكز تنظيف السيارات الآلية ؟ هل كان ذلك حلم طفولتك أن تمتلكي سلسلة من تلك المنشآت ؟

هزت رأسها وهي مسرورة ودهشة:

- أخشى أن الإجابة: لا . كل ما هناك ببساطة أنه أتت لحظات في حياتي كنت في حاجة ماسة لأن اشغل نفسي وفي نفس الوقت اكسب المال الكافي لنعيش أنا و"بن".

- أفهم ذلك، ولكني أعتقد أن دبلوما في الفنون الجميلة الحرة يمكن أن..

- كيف عرفت أنني حصلت على هذا الدبلوم؟

- لست أدري . ربما ذكر "رالف" ذلك عندما حدثني عن هذه الوظيفة.

ابتسمت . لا بد أنه "رالف". لقد كان فخورا بها وبـ"بن" ولا يتردد في إعلان فخره . استأنفت الحديث:

- لقد كان لدي رأس مال صغير ومركز للغسيل ومعرض للبيع وهو الأول . وقد بدا لي أنني أستطيع أن أديره وحدي واعتقدت أنه لا يحتاج إلى كفاءة خاصة . بعد ذلك وحتى أتوسع كان يكفيني أن اقارن بين المعدات المطلوبة وأركبها وأختار المديرين ولما كنت أعرف القليل عن التسويق فقد خصصت جزءاً من الميزانية للدعاية وهذا كل ما هناك.

علق قائلا :

- فهمت .. جمعت نقطتين من هنا واثنتين من هناك وهانت تصبحين واحدة من أعضاء غرفة التجارة واتحاد سيدات الأعمال في "دلاس" . لا. ليس "رالف" هو الذي أخبرني .. لقد علمت ذلك من مجلة

- هل أجريت بحوثا عني ؟ لا بد أن أعترف بأنني قلدتك وقضيت ساعتين في استجواب "رالف" عنك في الأسبوع الماضي .

- هل حدثك عن زوجاتي الست وأبنائي الخمسة عشر؟

هزت رأسها :

- لقد كان كتوما بدرجة مدهشة . لقد سبق أن قال لي :إنك عملت عنده من سنوات بعيدة ولكني عندما سألته: ما الذي فعلته بعد ذلك؟ بدا عليه مظهر غريب حقا، وأجاب: "لقد استطاع أن يعيش" وأعتقد أن هذا ما نفعله جميعا.

فيما بعد وهما في طريق العودة للبيت ألقى عليها نظرة جانبية:

- ألا تندمين على أن سهرتك في الحفل الراقص قد ألغيت ؟

- أتمزح ؟ أتعرف ما حفل القمر الراقص ؟ حسنا عدا الصلبان الذهبية المعلقة في كل مكان فإنه حفل مثل كل الحفلات التي تخلد ذكرى الأحداث الاجتماعية وأعتقد أنك استطعت تكوين فكرة عن حالتي . إنني لا أعوي مع الذئاب.

- إذن ما حالتك ؟

فكرت لحظات :

- ليست لي في الحقيقة حالة . في الحقيقة لست ضمن الهرم الاجتماعي . وإذا كنت أشترك في الحفلات الخيرية وفي سهرات أخرى فإنما يفرض ذلك أن يظهر اسمي في الجرائد وهو ما يعد دعاية مجانية وحتى أصبح معروفة لدى كل سكان "دلاس" وأعضاء غرفة التجارة مثلا وإلا لما كوفئت ويجب أن أقوم باللعبة من أجل ذلك . ولكني لا أحب بصفة خاصة أن أوزع الابتسامات وأتبادل التفاهات مع مائتي أو ثلثمائة شخص . يبدو أنك لا تصدقني ؟

- بل أصدقك . وإنما فقط أحاول أن أستنتج ماذا تحبين . ربما

الأمسيات الهادئة بين الأصدقاء أو تناول الطعام وانت جالسة على الأرض تثرثرين مع أشخاص تقدرينهم .. ما رأيك؟

لقد كان هذا بالضبط ما تحبه . لقد وصف السهرات التي كانت هي و"ديفيد" ينظمانها بانتظام حيث كانا يشعران فيها بالسعادة. فجأة رات في خيالها وجه زوجها العزيز والطريقة التي كان يحني بها راسه جانبا ويحاول أن يحل المشاكل وسمعت صوته المتسائل. غزاها شعور رهيب بالوحدة واجابت بخشونة رغما عنها:

- لا .. إنك لم تصل إلى الإجابة الصحيحة.

تخشبت على مقعدها وهي تدفع اليأس بعيدا عنها كما سبق أن فعلت آلاف المرات ثم اكملت بلهجة مرحة:

- والآن جاء دورك . هل رغبتك الوحيدة في الحياة هي أن تكون "رجل كل شيء" لصاحبة عمل مشاكسة؟

ابتسم ولم يرد وعيناه مركزتان على الطريق. قالت في إلحاح:

- هيا .. لقد حدثتك عن نفسي ومع ذلك ظللت غامضا . هيا ارفع طرفا من النقاب لنقل :إنك ذكي مغامر بل عنيد ولديك روح الزعيم. فما الذي جعلك تاتي لتعمل عندي ؟

خيم الصمت بينهما وزاد رغبتها في أن تعرف وبذلك اظهرت عنادها وتصميمها . قالت :

- حسنا .. دعني أخمن . لقد عملت عند "رالف" عندما كنت صغيرا جدا وربما كي تدفع مصاريف دراستك ثم أصبحت أحد عمالقة الصناعة. لقد قضيت سنوات في تضخيم ثروتك ونفوذك ولكن في لحظة واحدة وجدت أن الحياة أصبحت معقدة للغاية ولذلك قررت أن تترك كل شيء .. هل هذه هي الحقيقة ؟

رد موافقا :

- بالنسبة لمسالة المال فالإجابة: نعم .

كانت لهجته المرحة تقول الكثير لـ"كاترين" وإنها مخطئة تماما ولكن لما كانت تجد متعة في الحديث فقد واصلت :

- توجد امراة في حياتك إن لم تكن كثيرات ...

قطعت حديثها وهي تحس بانه يتوتر. قال بصوت خشن:

- امراة واحدة ولكن الأمر كان معقدا حقا .

- ما الذي حدث ؟ اوه .. اعرف .. أن الأمر ليس من شاني ولكنك مدين لي بتعويض :ففي اليوم الذي اتيت فيه لاصحب "بن" من عندك قمت بتعليقات غير لطيفة عن أحد أصدقائي وهو أمر غير محترم . لذلك لي الحق أن أكون غير لطيفة معك بدوري على الأقل هذا ما اعتقده.

ساد صمت طويل ولكن "ماكنزي" قرر اخيرا الإجابة:

- لقد تغيرنا .. كلانا تغير انا وهي . إن الشابين غير المباليين واللذين وقعا في حب بعضهما البعض لم يعودا موجودين.

- ولم تعودا تتفاهمان؟

- عندما يتطور الناس فإنهم يفعلون ذلك قصرا في نفس الاتجاه.

- هل لديك اطفال؟

كان التغيير سريعاً ومفاجئاً . تحدث عن زوجته في غضب مستمر حل محل عواطف متضاربة، متصارعة ومن الواضح انها كانت عنيفة. تذكرت "كاترين" المرة الأولى التي قابل فيها "بن" . فكرت وقتها أنه ربما يكون قد فقد طفلاً والآن أصبحت متاكدة من ذلك.

حدثت نفسها:

"وهل لهذا السبب اختار عملا لا معنى له ؟ وهل هذا هو الذي جعله يتغير هو وامراته لهذه الدرجة؟"

فكرت: ماذا يمكن أن تحس لو حدث شيء ما لـ"بن"؟ وأحست بتعاطف

شديد نحو رفيقها . إنها لن تحاول ابدا ان تحس بالغيرة من المكانة التي يحتلها في قلب ابنها . إن "بن" لديه حب كبير يعطيه إياه وإذا كان حبه سيساعد "ماكنزي" بطريقة او باخرى فإن ذلك لن يكون سوى شيء ممتاز.

عندما وصلا إلى البيت تبعها حتى المطبخ حيث صبت لنفسها كوباً من اللبن . سألته :

– هل تريد واحدا ؟ لقد تعودت أن أشرب اللبن قبل النوم لأن ذلك يساعدني –على الأقل– على بعض الهدوء.

مال على خطة العمل الموجودة بجواره:

– هل تعانين الأرق؟

اعترفت رغما عنها :

– أحيانا.

قال معلقا وهو يتأملها بإمعان:

– هل تعتبرين كل شيء معركة حتى ولو كانت ليلة بلا نوم؟

– هل هذه ملحوظة أم سؤال؟

– لنقل: إنه سؤال .

احتست جرعة من اللبن وهي تبتعد قليلا عنه:

– إذن إجابة السؤال: نعم ولا .. هناك بعض الشواطئ للراحة في حياتي ولكن البقية في الحقيقة هي معركة ولست انا التي اسعى وراءها، فلو كنت امراة وحيدةتحاول أن تدير شؤونها وتربي ابنها لفهمت ما انا فيه .

رفع حاجبه:

– ما دخل الصراع ضد الأرق مع كونك امراة في عالم الرجال؟

زفرت:

WWW.REWITY.COM
مـرمـوريـات

– إن المرء يتعود على الصراع . ومع "بن" و"فيلدا" و"رالف" أستطيع أن أضع السلاح واسترخي لأنني اشعر بالأمان وانهم لن يهاجموني فجاة . وباقي الوقت أظل مستعدة.

– الاحظ انك لا تتخلين عن حذرك مع "جونيور" . والعم "جريج" أو مع اصدقائك.

اعترفت.

– فعلا .

اثناء الوجبة ورحلة العودة كان لديها إحساس بنوع من الأخوة بدأ يستقر بينهما . ولكن في تلك اللحظة عندما خطا خطوة نحوها فإن الطاقة التي تنبعث منه اصبحت قوية لدرجة لا تصدق . احست بتيار كهربائي يسري في جلدها ويجعلها ترتجف. اتجهت نحو الباب وقالت:

– لابد أن أذهب...

قاطعها .

– لقد انتظرتك في ليلة من الأسبوع الماضي . لقد كنت أريد أن أراك تعودين للبيت بعد إحدى دعوات العشاء.

استدارت وهي لاتعرف ماذا تفكر في اعترافه غير العادي ؟ قالت في دهشة:

– لماذا هذا ؟ وما سبب اهتمامك؟

– لقد كنت أحس بالفضول.

سألته رغم انها كانت تعرف أن الرد لن يعجبها :

– نحو اي شيء؟

– لقد شاهدتك تخرجين وأردت أن أشاهدك وانت تعودين وكنت أبحث عن فروق بين الحالتين.

كانت عيناه تفحصانها ببطء . أحست بالغضب يجتاحها وليذهب

الشعور بالأخوة للجحيم. صاحت فيه:

- ليس لك الحق . إن ما افعله بحياتي يخصني وحدي.

ارتسمت ابتسامة بطيئة على شفتيه ولكنّ حدقتي "ماكنزي" كانتا تلمعان بذلك البريق العميق الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيته .

قال :

- لا تتعصبي إذن وفكري فقط أن المعرفة هي التي تهمني . ولقد لاحظت ان لك طريقة معينةفي سحر الرجال عن طريق جذبهم شيئا فشيئا.. ولست أدري إلى أي حد ستجعلينهم يتقدمون..

أجابت بجفاء:

- اهتم بشؤونك الخاصة.

- إنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من التساؤل . وكما سبق لك ان قلت: إننا لسنا في الخدمة وإنك سمحت لنفسك بالدخول في خصوصياتي، فإنني اعتقد انك لن تعتبي علي أن اكون فضوليا مثلك.

عندما دعاها إلى العشاء كان يسودها إحساس انه يلقي في وجهها تحديا والآن لم يعد لديها اي شك في ذلك . إن الأمسية كلها لم تكن سوى فخ . إنه لم يخفف من الطاقة الكهربائية التي يستخدمها في الحصول على ثقتها والآن هو يستعد لتوجيه الضربة القاتلة.

قال لها وصوته ليس سوى همس متقطع:

- هل تضربينهم على أياديهم إذا حاولوا مسكك ايتها الزعيمة ؟ إن هذا جزء من اللعبة ..أليس كذلك؟ من المعركة الكبرى التي تخوضينها ضد الجميع وبكل الأسلحة؟ لقد قالت "فيلدا: إنك لا تخرجين إلا مع رجال لا يطلبون شيئا على الإطلاق منك . هل هذا صحيح ؟ هل جميعهم مومياوات؟

-هذا يكفي ولا اريد ان..

- إنه اكثر سهولة . اليس كذلك؟ بهذه الطريقة لن تقلقي من اعترافاتهم العاطفية . وإذا ظهر لهم شيطان الرغبة فإنهم لا يعرفون شيئا .

- لست افهمك. لو عدت دون أحمر الشفاه وشعري منكوش وملابسي سوقية فهل ساكون في هذه اللحظة بالنسبة لك أكثر قبولا ؟ إن الرجال الذين أصاحبهم ربما لا يعرفون ما الأمانة والصدق والحساسية والأخلاق .. كيف تجرؤ... ؟

قطعت حديثها عندما ادركت أن محدثها يضحك.. منها .. ومن غضبها الجامح ومن شعورها بالمهانة. وعندها فهمت انه حصل على ما يريده.. لقد جعلها تفقد هدوءها وببساطة تثير الحنق .

سمعت في هذه اللحظة "بن" و"فيلدا" يصلان إلى باب الدخول وحاولت أن تسيطر على نفسها وانفعالاتها وان تمنع يديها من الارتجاف .

تركت مكانها والقت نظرة أخيرة على "ماكنزي سمث".

- أراهن انك تظن نفسك ماكرا..؟

ابتسم وعيناه اللتان بلون العنبر تلمعان في سرور وهو يقول :

- إنني أتدبر أمري يا زعيمة.

الفصل السادس

بدأ الحلم تماما كالمعتاد . كانت بمفردها في السرير وهي تستمع إلى الضجيج الذي يحدثه البيت القديم، عندما فتح باب الحجرة ودخل "ديفيد" وقد بدا واضحا وسط شلال الضوء الآتي من الدهليز . جلس بجوارها واعلن:

– لقد قررت الا اذهب إلى هناك . وإذا أرادت كل هذه الرؤوس أن تتحدث معي فما عليهم إلا أن يقوموا بالرحلة إلى "دلاس" . إنني لا اريد ان اتركك انت ولا "بن" ولا مدة أسبوع.

مسحت جبهتها برقة في كتفه وهي في منتهى السعادة:

– اوه يا "ديفيد"! شكرا . سأحاول أن أتمسك بالشجاعة. حقا .. ولكني اكره أن تذهب . إنني أحس أنني وحيدة للغاية بدونك.

همس في اذنها :

– إنني لن اذهب أبدا يا "كاتي" .. على الإطلاق!

تجهمت وهي تشعر شعورا مبهما بالقلق:

– "ديفيد" .. عندي شيء أريد أن أخبرك به ولكنني لا أستطيع أن أتذكره . ومع ذلك من المهم أن أعرفه لأنه يخيفني ..

– اصمتي يا عزيزتي .. لا يمكن أن يكون مهما لهذه الدرجة. إن الشيء الوحيد الذي يحسب حسابه هو أننا معا حتى الأبد .. هل تذكرين ذلك؟

– نعم.. حتى الأبد .

طارت مخاوفها أمام صدق مشاعره وكانت تقول له بعينيها وبدون كلام إلى أي مدى تحبه وإلى أي مدى هي تحتاجه.

ثم تغير الحلم . شحن الجو بالكهرباء . بدأت تحس أنه يعاملها بقسوة وفقد كل رقته وحنانه. احست بمشاعر جديدة عميقة لدرجة مؤلمة وانقطعت أنفاسها وتحولت زفراتها إلى تأوهات والحرارة تشوي جسدها . اقتربت منه والتصقت به وهي عاجزة عن التفكير: إن "ديفيد" يقول كلمات مشتعلة تشعل النار داخلها .. كلمات لم يسبق له أن قالها ولم يستخدم هذه النغمة من قبل .. كل شيء كان مزيفا .. لا ليس مزيفاً وإنما كل شيء مختلف ومشتعل ووحشي .

صارعت لتفتح عينيها وقد احست بأنهما منتفختان، بينما اختلطت ملامحه وهو لايزال هناك في مكانه وعندما استطاعت أخيرا أن تفتحهما وجدت صعوبة في الحصول على رؤية واضحة . ثم رأت ما جعل قلبها يسرع في دقاته . إن الرجل الذي بجوارها قد تغير .. اختفت ملامحه واصبحت صورته مهتزة. فقط عيناها ظلتا على ما هما عليه وعلى قدرتهما على سحرها بلونهما العنبري .

ثم تغيرت عيناه أيضافقد أصبحتا قاسيتين وثاقبتين ولا تحملان أي حنان ولا حب . وإنما تلمع داخلهما انفعالات متوحشة وتختلط داخلهما الكراهية والعدوانية. فهمت "كاترين" أن هذا الرجل ليس

"ديفيد". إنه لايزال ينظر إليها وادرك انها تعرف ما يجري وتعرف ايضا ان شرودها يسعده .

ببطء شديد دون ان تترك عيناه وجهها بدأ يداعبها . لا بد ان تمنعه . إنه ليس "ديفيد". لابد ان تدفعه بعيدا وان تطرده . يا إله السموات!

كيف يمكنها ان تتحمل وجوده بجوارها وهو ليس "ديفيد"؟

ومع ذلك لا تريد ان تبعده عنها . ولا يهمها إن كان غريبا عليها وانه يتمتع بياسها . شيء واحد هو المهم وهو انها في حاجة إلى وجود ذلك الشبح اكثر مما كانت تريده من قبل .

اخذت تلهث وعيناها شبه مغمضتين وجفناها ثقيلان . عندما مد لها يده ليجذبها نحوه استيقظت في الحال وجو الحجرة لايزال يهتز من ذلك الهمس المتحشرج . اطلقت اهة موجعة وابعدت الشعر الملتصق بجبينها المبلل . ارتجفت وجلست منتصبة وسط السرير واحاطت ركبتيها بذراعيها .

لقد كان هو "ديفيد" ولا يمكن إلا ان يكون "ديفيد". إنها لم يسبق ان حلمت باحد سواه . إنه امر غير مستحيل. اخذت نفسا عميقا لتطرد الخوف . لابد ان تفكر في الحلم في هدوء وتعقل . إذا كانت ملامح زوجها قد اصبحت من الصعب التعرف عليها فإن لذلك- دون شك- معنى نفسيا مستترا. ربما كانت تخشى في عقلها الباطن ان تنسى الحبيب المختفي . ما لم يكن هذا -على الاقل- نوعاً من الخداع العقلي الذي فرض على "ديفيد" بعض التغيرات التي عانتها هي نفسها.

ربما كان ما فعلته حسنا، فهي لا تستطيع ان تفسر الطريقة التي تكلم بها معها ولا تعبيره الغريب. لقد اعترفت ايضا رغما عنها ان الصوت يشبه كثيرا صوت "ماكنزي سمث". اخفت وجهها وهي تتاوه بين ركبتيها. إنها ليست غلطتها . وهي ليست مسؤولة عن حلمها . لقد

تحملت كل احلامها، ثم إن الاحلام لها دائما معنى غامض كما يقول "فرويد". لقد كانت الثعابين -في راي عالم النفس الشهير- رمزا للمكر بينما حالة الموت تمثل الفراق والسقوط يعني .. ولكن "فرويد" قال ايضا: إن السيجار لا يعني إلا السيجار .. همست وسط ظلام الليل:

- لقد ظللت وحيدة وقتا طويلا .

رفعت رأسها . لقد حلمت بـ"سمث" ماذا يعني هذا ؟ ليس هناك ما يدعو لأن تصاب بالجنون . لا شك انها - ببساطة - ربطت بين رغباتها المكبوتة بين اول رجل راته قبل النوم مباشرة . ولو رات جارها قبل ان تنام لأصبح هو بطل حلمها .

ومع ذلك لم تصل إلى تصور جارها المسكين العجوز "هنسون" هو بطل ذلك الإعصار العاطفي الذي واجهته في حلمها . لقد استشارت بعد وفاة زوجها طبيباً نفسيا . وحتى تتغلب على اشجانها مرت بالمراحل المعتادة وبالطريقة المعتادة . ولكن ما تحس به الآن وما احسته اثناء الحلم ليس شيئا معتادا . قالت لنفسها - وهي تستند على ظهر السرير: "إن كل الروايات تتكرر. ويجب تحذير النساء الوحيدات من انهن إن لم يتخذن حبيبا فإن اجسادهن ستفلت من تحت سيطرتهن دون ان يدرين انهن يصرخن من الجوع العاطفي".

كان "ديفيد" جالسا على آخر درجات السلم وقد وضع كفيه على ركبتيه منذ اكثر من ساعة . كان هلال ضئيل هو الوحيد الذي يرسل ضوءه إلى الحديقة كما كان متوقعا. فقد لعب الورق مع "بن" و"فيلدا" . ليس وقتا طويلا . اقل من نصف ساعة بعد عودتهما، وكانت "كاترين" قد عادت إلى المطبخ لتخبر ابنها ان الوقت حان ليعود للفراش . لم تكن قد نظرت إلى "رجلها لكل الاعمال" مرة واحدة وهو ما يعني-دون شك- انها لاتزال حانقة عليه.

ألقى برأسه للخلف وهو يبتسم أمام تلك الفكرة.لم تكن هذه الفكرة مجرد طموح نبيل الهدف ولكن منذ أن حضرت لتأخذ ابنها من عنده أو بمعنى أصح منذ أول مواجهة بينهما فإنه يتحرق شوقا من الرغبة في التحكم في الموقف أو الأحرى أنه يود أن يتحكم فيها .

عندما استطاع أن يفقدها هدوءها وأيقظ شيئا ما بداخلها- ولا يهم ما ذلك الشيء .. إلا أنه موجود. إنه من جديد شخص ما- نهض وهبط الدرجات ببطء إذا كان قد دعاها على العشاء هذا المساء فإن ذلك كان بهدف أن يعرف المزيد عن مشروعاتها .. المشروعات التي ستؤثر على "بن" . ولكن الأمور لم تجر كما كان متوقعاً . لقد لعبت به . لقد اضطرته ملكة مغاسل السيارات الآلية المغرورة لأن يتخلى عن حذره . كان كل شيء سيصبح سهلاً بالنسبة له لو لم يضطر إلى الاعتراف بأن لها قلبا وأنها تشعر أحيانا بالوحدة وأنها تصاب بالأرق .

توغل وسط ظل شجرة البلوط الضخمة وأمسك بأحد أحبال الأرجوحة المثبتة على الجذع وتحتها أوراق الشجر الجافة . لم يكن قد نظر في ثقب الشجرة منذ عودته . لم يكن ليريد أن يكتشف أن السدادة قد اختفت وأصبحت عدما بفعل الزمن أو بفعل شخص مجهول . انتقل إلى الجانب الآخر من الشجرة واستند عليه ورفع عينيه إلى نافذة "كاترين" التي كانت مفتوحة والستائر تتحرك متموجة في رقة بسبب النسيم . تساءل: هل غيرت الشابة الحجرة بالطريقة التي كانت تريدها من ثمانية أعوام مضت عندما لم يكن لديها الإمكانات التي تسمح بالتغيير؟

لقد تذكر غطاء المدفأة التي شاهدته مرة في مستودع رهونات والذي عشقته في الحال .

كانت الصورة الفوتوغرافية للسرير الضخم على طراز ما يسمى

"بالموديلات" التي قطعتها من إحدى المجلات تحوي قطع السجاد الأخضر الفاتح مع الكريم. وقد كونت منها نموذجاً بسيطاً وقالت له : إنها ألوان هادئة لتخفيف التوتر الذي يتولد من مشاكل عمله بالجامعة. تصلبت أصابعه . لقد كانت "كاتي" الرقيقة الحلوة هي التي تحلم بذلك . لا شك أن "كاترين" قد مالت إلى الفراش الياباني بدلا من السرير القديم الخشبي وإلى الألوان الحية ذوات الخطوط الحادة وإلى مبدأ البساطة ما لم يكن مخالفا للموضة. طرفت عيناه وانتبه إلى وجود الشابة أمام نافذتها وقد أبعدت الستائر لتشاهد الحديقة.ظل ثابتا في مكانه فترة وهو ينظر إليها وتنهل عيناه من منظر جسدها النحيل الملفوف بثوب نوم من حرير لامع هفهاف، ثم خرج بهدوء متعمد من الظلام . أحس بالضبط باللحظة التي رأته فيها فتخشب جسدها وبعد ثوان اختفت فجاة.. ثم ظهرت أيضا فجاة وقد انتصب جسدها وارتفعت هامتها وكأنها تقول له:" أنا في بيتي وأستطيع أن أنظر من نافذتي إلى حديقتي وقتما يحلو لي ".

قال بصوت مرتفع:

- ألازلت غاضبة مني؟

مالت برأسها جانبا وضمت حاجبيها :

- عفوا ؟ لست أفهم ما تقول . لا .. لقد نسيت قلة أدبك وكم هو لطيف منك أن ذكرتني بها !

قال وهو يبتسم:

- لم لا تنضمين إلي؟ إن ليالي الربيع مهدئة للغاية.. والتمشية وسط العتمة مع نسيم عليل والحديث بين الأصدقاء كل ذلك يساعد .

- فيم يساعد ؟

قال مؤكداً وهو يهز كتفيه:

- في كل شيء. في الإدارة والتغلب على الأرق ويخلي الإنسان من الإحباطات .. إنه مفيد جدا.

قالت متهكمة :

- شكرا على اهتمامك ولكني أعتقد أنني ساعود للنوم.

- ربما كان هذا أفضل . لأنك لو أتيت فإن ذلك قد يؤدي دون شك إلى مشادة أخرى، ولما كان لي دائما الغلبة فإنك دائما ما تعتبرين الأمر سيئا لأنك لا تطيقين ألا يكون لك الكلمة الأخيرة.

قال في نفسه : "لا .. إن الحق معك فابقي عندك. على الأقل لن تخاطري.." بينما يثيرها هكذا سرت القسوة في ملامح الشابة وقوست كتفيها وعندما سكتت ظلت لحظات بلا حركة قبل أن تستدير وتترك النافذة .

أفلتت منه ضحكة صامتة .. إنها آتية.

قالت وهي تغلق الباب الخلفي للمنزل :

- إنه عمل صبياني حقا . لقد مرت سنوات منذ كففت عن معاملة الناس في خوف لأحصل على ما أريد.

- هذا أفضل لك . أنا شخصيا لا أرى أي داع لأن أتخلى عن مثل هذا الأسلوب الجيد . هل لازلت هناك ؟ لقد كان اللبن قليل التأثير بالنسبة لي.

- أوه .. لقد نمت في الحال .. ولكني حلمت حلما ..

- مثيرا؟

خفضت رأسها وأحست بالحمرة تصعد خديها وابتعدت قليلا عنه .

- لقد كان بالضبط عن زوجي .

- أتحلمين به كثيرا؟

- ليس بكثرة كما كان يحدث في الماضي . غير أنك قلت لي هذا المساء

شيئا ما أيقظ ذكريات مهمة عندي. لقد اختلف هذا الحلم عن بقية الأحلام . لقد بدا بنفس الطريقة : جاء "ديفيد" إلى الحجرة ليقول لي: إنه أخيرا قرر الذهاب إلى قمة "جامارا" .

ألقت نظرة على رفيقها الواقف في ظل شجرة البلوط ثم سألته:

- هل أخبرك "رالف" عن الطريقة التي مات بها "ديفيد"؟

- لقد قص علي أن زوجك أخذ رهينة وأعدم من سنتين في نفس الوقت مع سبعة آخرين .

أغلقت عينيها . لماذا تحس بقلبها يتمزق؟

لقد كان من المفروض أنها تعودت حالياً على تقبل الأمر . لقد مات "ديفيد" وهي تعرف ذلك . ولكن هناك شيئا ما في داخلها ... سمعته يكمل كلامه :

- إذن في الحلم أخبرك أنه لن يذهب إلى "جامارا"؟

عادت إلى الواقع:

- نعم .. إن الأحلام كلها تبدأ هكذا . إنه يشرح لي أنه سيبقى هنا مع "بن" ومعي . ثم ...

قطعت حديثها فجأة . كان عليها أن تقول لـ"ماكنزي" بعد ذلك: إن "ديفيد" كان يطارحها الغرام في الحلم وأنها كانت تحس بالسكينة وهي بين ذراعيه.

أكملت:

- ولكن في هذا الحلم كان الأمر مختلفا كان ينظر إلي .. لست أدري.. وكأنه حانق علي وأنه يكرهني وهو ما لم يحدث أبدا من قبل .

- ربما كان شعورك بالذنب قد أثر عليك؟

استدارت نحوه وهي دهشة:

- ولماذا أحس بالذنب ؟ لقد كنت أحب "ديفيد" وهو يعرف ذلك . لقد

خلق موته أسئلة بلا إجابات وقلب بعض الحقائق المؤكدة إلا هذا الشيء الذي أنا منه متأكدة وهو حبي له . حتى في لحظة موته كان يعرف أنني أحبه.

- ربما في هذه اللحظة..

كان "ماكنزي" ينطق هذه الكلمات بطريقة غريبة وأصبح الجو بينهما مشحوناً مرة ثانية ولكن عندما خرج من الظل أدركت أنه شديد الهدوء . قال:

- إنك تبدين رقيقة وضعيفة أكثر من النهار .

- هذا من حسن حظك .. كم أنت تحب أن تشاغبني وتثير غضبي وتفقدني برودة أعصابي وأتصور أن هذا يمتعك.

قال مازحا :

- إنك فاتنة للغاية.. وذكية لأقصى درجة!

- لو كان لديك أي شك في هذا الشأن فدعني أخبرك أنني إنسانة مثل بقية البشر . وليس لدي خاتم سليمان السحري الذي يمكنني من الحصول على كل ما أريده . إنني أصارع بصفة دائمة حتى أظل قوية ومشغولة بكل شيء . وأنا فخور بأنني أساعد نفسي وأحميها . ولكن أحيانا ...

رفعت يدها دون أن تدري إلى رفيقها في حركة دفاعية وأكملت:

- أحيانا أتعب وأحس بالخوف والوحدة. وفي تلك اللحظات أكون مستعدة لأن أعطي أي شيء مقابل أن أحصل على أحد بجانبي يساندني ويحمل عني بعض حملي الثقيل ، ولحسن الحظ أن تلك اللحظات لا تحدث كثيرا ولا تستغرق زمنا طويلا وبعد ليلة نوم هادئة فإن كل ذلك يختفي .

- أنت الفتاة الخارقة؟

جعل تهكمه الشابة تطلق صيحة تبرم وتقول:

- لست أدري لماذا أقص عليك كل هذا وأنت لا تفكر إلا في إثارة عصبيتي؟ ربما كنت شاذة مثلك.

- هل تعتبرينني شاذا؟

- نعم ومثيرا للقلق .. أنت دائما .. حسنا ! هاأنت مرة ثانية تبدو راضيا تماما مثلما كنت في المطبخ منذ قليل عندما جعلتني أغضب هل أنت سعيد ؟ والآن أنت مسرور عندما عرفت أنني أعتبرك مخيفا بعض الشيء.

كانا يتمشيان على غير هدى حتى وصلا إلى شجرة البلوط. استند على الشجرة دون مبالاة:

- لو أنك تظنين أنني أخفي بلطة ضخمة تحت سريري فإنه لن يسعدني أن أخيفك . ولكن هذا ليس الحال . أنت تخشينني لأنني أتمكن من اختراق الجدار الذي أقمته بيننا . وأنت لا تحبين ذلك على الإطلاق، لقد قلتها بنفسك: إنه ما عدا "بن و"فيلدا"و"رالف" لابد أن يبقى باقي العالم بعيدا عنك خاصة الرجال .

قالت معلقة وناقدة وهي لم تخف ضيقها:

- وأنت تعتبر هذا نوعا من التحدي . أنت ترى جدارا وهميا ويجب عليك أن تخترقه لتثبت رجولتك.

- لا .. وإنما أهتم بهذا الجدار بالذات.

- لماذا ؟

ساد صمت طويل أخذ خلاله يتأملها بإمعان ويجعلها تحس بالحرج الشديد من ملابسها الخفيفة:

- ربما لأنني أحب الطريقة التي ترتجف بها شفتك السفلى عندما تصبحين عصبية رغم أنني أفعل ذلك من باب الرحمة .

- هذا يعني انك تفعل ذلك من اجل مصلحتي ؟

هذه ايضا لعبة لا تعرف قواعدها و لكنها لا تستطيع التوقف عن الاستمرار فيها . تماما مثلما يحدث في الحلم وتحس بجوع شديد يؤلمها .

- بالضبط .. لو أخذت على عاتقي مخلوقا مسكينا وصغيرا ومجمدا بالكامل من البرد فإنني ادفئه واجعل الدماء تسري مرة أخرى في عروقه .. الم اكن بهذا قد اديت عملا طيبا؟

استندت على جذع شجرة البلوط هي ايضا وقالت :

- لست مخلوقا صغيراً ومسكينا ومجمدا من البرد بالكامل .

قاطعها :

- بل انت كذلك . لقد توقفت في لحظة ما عن النمو ونسيت كيف تعيشين وتحبين وهذا أسوا ما في الامر ..

لما لم تلحظه وهو يتحرك فقد اصبح قريبا منها:

- والاغرب من ذلك أن يصل بي الامر ان أهزك لتفيقي . والامر في منتهى البساطة : إنني اشعر بفضول لمعرفة ما سيحدث لك عندما تجري الدماء مرة ثانية في عروقك ويفيق جسدك الرائع.

هزت رأسها وهي ساهمة وهمست :

- اعتقد انني متعبة وساعود للنوم .

همس :

- من الغباء إخفاء الحاجات الخاصة والرغبة في شيء امر طبيعي مثل الجوع والعطش ولا يجب أن يخجل المرء من ذلك.

سلكت حلقها قبل أن تقول بصوت ثابت:

- لماذا... لقد مرت لحظات اعتقدت فيها أننا يمكن أن نصبح صديقين ولكن دائما ما تفعل شيئا ما يضللني . وفي كل مرة نبقى فيها معا

بضع لحظات أحس أنني امر باختبار معك وتجعلني عاجزة عن الحركة أو تعلق تعليقات غير مقبولة عن حياتي الخاصة حتى تثير غضبي . وكانني لعبة بين يديك تلهو بها وقتما تشاء . ولا أعرف السبب ولو كان هذا يحدث مع "فيلدا" لاستنتجت أن هذه طبيعتك وسلوكك المعتاد ولكن لا .. إن هذا لا يحدث إلا معي ..

- إيه ! فعلا .

- إذن أرجوك أن تكف عن هذا في الحال !

- لست مضطرة للبقاء وأنا لا امنعك بل إنني لم أضع إصبعي البنصر عليك.

كان على حق . فهي حرة في أن تبتعد عنه تماما مثلما حدث في الحلم ولكنها لا تريد ذلك.

تاملها في رضاء تام ووحشي ثم همس :

- ياله من امر محزن أن تحلمي بمفردك في حجرتك يا "كاتي"؟

ودت "كاتي" أن تحتج ولكن احتجاجها مات على شفتيها . لقد كانت الحقيقة اقوى من الأحلام . صارعت حتى تبقى ثابتة . إذا كانت تحس هذه اللحظة بانجذاب نحوه فإنها ستجد القوة على السيطرة على عواطفها بشرط ان يكف عن إثارتها . ولكنه لم يكف. لابد أن تبتعد وتجبر اعضاءها الثقيلة على الحركة. قال لها هامساً وهو يكاد يلتصق بها :

- في تلك اللحظات لابد أن تخرجي كل ما بداخلك وبعد ذلك ستهدئين. إنه احسن علاج ضد الأرق مهما كان نوعه .

ادركت "كاترين" أنها كلما قاومته ازدادت اندفاعا وراء عاطفتها. اطلقت صرخة احتجاج ضعيفة ووجدت القوة أخيرا ووضعت يديها على صدره تدفعه بعيدا عنها، وعندما حاول الإمساك بها فرت من أمامه

وهي تتعثر . إنها لا تريده أن يلمسها الآن لأنها ستصبح غير قادرة على الفرار. لجأت إلى المنزل بأقصى سرعة ممكنة.

أخذ "ديفيد" ينظر وأنفاسه متقطعة إلى باب المنزل وهو يغلق وراءها . مرت فترة طويلة قبل أن يتكئ ثانية على شجرة البلوط. أغلق عينيه وتنفس بعمق وحاول أن يرخي عضلاته وأن يبطئ من سرعة ضربات قلبه المضطربة. يا إلهي ! هل استطاع أن يوقعها ؟ لقد أراد أن يفقدها توازنها وأن يصبح مهما بالنسبة لها ولو فترة صغيرة . والآن يحس الجحيم داخله. لابد أن يصارع بكل كيانه حتى لا يتجه إلى البيت ويلحق بها .

استندت "كاترين" على باب المطبخ وأنفاسها لاهثة وساقاها مرتخيتان وكأنهما صنعتا من القطن . كانت تحاول ألا تسقط . إنها لا تستطيع أن تصدق ما حدث. لقد سلمت في لحظات كل دفاعاتها التي قضت سنوات طوالا لتقيمها . إنه لم يلمسها . كتمت ضحكة شبه هستيرية. إنها لم تصدق أن يحدث مثل هذا الشيء في يوم من الأيام معها . إنها ترى ذلك فقط في الأفلام والروايات العاطفية، ولكن أي امرأة عادية يمكن أن تعيش تلك اللحظات . إن ما حدث بينهما لا يمكن أن يحدث بينها وبين "ديفيد" العزيز الرقيق والحنون . لقد خاضت معركة حياة أو موت.

ربما فيما مضى لم تكن لتشعر بالضيق لو غازلها رجل فاتن تحت ضوء القمر أما الآن فهذا مستحيل .

الفصل السابع

مط "ديفيد" جسده حتى يستطيع أن يمسك بالسلك المعلق وسط السقف . أضاء المصباح ولكنه ترك جزءاً كبيرا من الحجرة يسبح في الظلام . كان القبو واسعا جدا باتساع البيت كله ومليئا بالمخلفات من علب وعدة ومائدة طويلة من الخشب تستخدم للعمل . ألقى الزائر نظرة على العلب القريبة وكان بعضها يحمل علامات غامضة. فتح العديد منها ليفحص محتواها فوجد كتباً وملابس ومعدات صيد ومجموعة من الأوراق البنكية القديمة التي كانت ملكه عندما كان هذا البيت ملكه .

لمع عرق بارد على جبهته وضم قبضته بشدة وأخذ يتنفس ببطء وعمق حتى اختفت الرهبة التي أوشكت أن تغمره .

لايزال يحدث له أن يستيقظ من كابوس وأن يقضي بقية الليل في السير ذهابا وإيابا حتى النعاس وحتى لا يلتقي بصدى تلك السنوات

الست، ولكن موجات القلق الرهيبة التي كانت تجتاحه أصبحت الآن اقل تكرارا ومن السهل التخلص من تاثيرها، لقد بدأ الحاضر يحكم قبضته عليه والماضي ينحسر منذ تلك الليلة التي أجبر فيها "كاترين" على ترك عشها الأمن في حجرتها، إن ذكرى ما حدث بينهما تحت ظل شجرة البلوط اصبح يسيطر على جميع الأحداث الماضية والحاضرة . لقد كان يتحرق شوقا إلى أن ينهي ما بداه . لقد استعاد تلك اللحظات مرات ومرات ومرات . إن الامر مثير للسخرية. إنه يعطي الأمر اهمية غير معقولة .. لقد عاش ست سنوات من الوحدة، كان بعدها يعتبر اقبح النساء في منتهى الإغراء . ليس أمامه الآن سوى امر واحد وهو أن يتسكع في المقاهي والملاهي الليلية هذه الليلة بحثا عن رفيقة تؤنس وحدته. إن المدينة مليئة بالنساء اللاتي تحت الطلب. هز راسه . مستحيل أن يخدع نفسه .. إنه يريد "كاترين" .. هي او لا أحد غيرها، ولكن هذا التصور بدا له وكانه خيانة لحبيبته "كاتي" .. يا إلهي !

استدار بسرعة وعنف عندما سمع "بن" يدخل دائرة الضوء ويقول:

– مرحبا يا "ماك" .. ماذا تفعل هنا ؟

– انا افكر وانت؟ ما الذي جاء بك إلى هذا الركن ؟

تناول الصبي مفتاحاً إنجليزيا من فوق مائدة العمل:

– انا اختبئ . خبرني هل يصلح أن يكون هذا سيف سلحفاة النينجا؟ يمكن به أن اقتل كل الأشرار واحولهم إلى طين مقزز..

– فما الذي تحاول أن تتجنبه هذه المرة؟

زمجر "بن" وأجاب وهو يرفع المفتاح نحو السقف:

– هو !

– يا إلهي ! لابد انك ارتكبت ذنباً لا يغتفر.

بدأ "بن" يضحك وعندما يضحك فإنه يفعل ذلك من اعماق قلبه .

ضحك "ديفيد" معه. إنه يحب ابنه والطريقة التي تلمع بها عيناه الداكنتان عندما يضحك تدل على ذلك . بدأ "بن" يتسلق الصناديق والعلب وقال:

– إنه "جوردان بينيت" هذه المرة، وهو يحضر في كل مرة زهورا ويقول لأمي: إنه يزرعها من أجلها. تصور انه نسي انه سبق أن قال ذلك من قبل !

قطب "ديفيد" حاجبيه . لماذا لا تقابل "كاترين" سوى رجال يدفعون "بن" للهرب"؟ إما انها لاتعمل حساب ما يشعر به ابنها او انها لم تدرك ذلك.لا.. إنها تقلق على مشاعر ابنها . لقد رآها مع "بن". إنها أم ممتازة وهي تحبه . ربما كانت عمياء لا ترى ما يعيب اصدقاءها.

عاد الطفل إلى دائرة النور وفي يده كيس مملوء حتى نصفه بالحلوى. قال شارحا :

– إن هذه الحلوى من ايام عيد جميع القديسين .

– إذن مر عليها اكثر من ستة اشهر .

– إن الحلوى الجافة لا تفسد . وعلى اية حال فقد سبق أن اكلت أحسن ما فيها ولم يبق سوى البونبون الأخضر والأحمر . هل تريد واحدة؟

مد الطفل الكيس نحو "ديفيد" الذي رد:

– لا، شكرا .

– تعلق الطفل حتى وصل إلى سطح مائدة العمل وبدأ يطوح ساقيه .

أخرج لسانه وسأل بعد فترة:

– هل لون لساني أخضر؟

– إنه مقزز.

– لقد اعطتني "ماري بريسكوت" حلوى تجعل الأسنان تضيء داخل

الفم وسط الظلام ولكن امي لم تسمح لي باكلها.

جلس "ديفيد" بجوار "بن" وبدا يفحص الوجه الصغير.

– خسارة! هل تذكر المرة التي اتيت فيها إلى شقتي لتختفي من "جريج"؟ لقد قلت: إن أي واحد من اصدقاء امك لا يعجبك كاب . هل تريد أن تخبرني ما الذي لا يعجبك في "جوردان إيروبن بينيت"؟

هز "بن" كتفيه بلا اهتمام وهو يركز كل اهتمامه على حلواه:

– لانه يفضل الا اكون معهما .

– ما الذي جعلك تفكر هكذا؟

القى الصبي نظرة على "ديفيد":

– هذا ما يقوله لي . في أول مرة أتى إلى هنا قبل "الكريسماس" بالضبط وأحضر لي هدية . لعبة تافهة ولكن لما كانت امي موجودة وامرتني أن اكون لطيفا . تظاهرت بان وجوده يسعدني واعلن انني فتى طيب، ولكنه ناداني باسم "بنجي" وهو اسم كلب ! ثم ذهبت امي بعد ذلك إلى المطبخ لمقابلة "فيلدا" وطلب مني "جوردان" أن اكف عن الجري في كل مكان والا المس المنشفة لان يدي متسختان وان اسكت لان الاطفال يثيرون اعصابه . وفكرت أنه يفضل لو انني غير موجود في المكان . وانا ايضا كنت افضل الا اكون فيه و لهذا كنت اختبئ!

تملكت "ديفيد" ثورة غضب وساله:

– لماذا لم تحك ذلك لامك؟

أخذ "بن" يشرح في صبر:

– إن ذلك سيتسبب في إيلامها . إنها تحبه جدا وهي تحبني جدا، وهي تريد أن نتبادل الحب ولكني لا أحبه . إنه يتصرف وكانه في بيته وهو يلمس كل شيء ويتفرج على الصور الفوتوغرافية الخاصة بابي ثم يغير الأشياء التي على الرفوف والموائد ليتاكد من عدم وجود غبار .

إنه يحطم أعصابي.

اطلق "بن" زفرة ضيق وتافف.

قال "ديفيد" من بين اسنانه:

– وانا كذلك.

ظل مدة طويلة بلا حركة وقد ركز عينيه على الجدار ثم قفز فجاة إلى الأرض واستدار نحو ابنه وقال :

– عندي سر..

ساله "بن" وقد بدا حائرا:

– وما هو ؟

– سترى .

أخذ "ديفيد" مقعد مطبخ وطلب من الصبي الا يتخلى عن سيفه، ثم سحبه حتى الطرف الآخر من الحجرة الذي كانت تسوده العتمة . بعد خمس دقائق كان جالسا فوق مقعد المطبخ . بالقرب من السقف فوق مكان مقعد المطبخ. فوجد فتحة تهوية مغطاة بشبك صلب . كان الطفل واقفا على بعد تحته وهو مبهور . كان "ديفيد" قد اكتشف الخواص السمعية الخاصة لهذه الثغرة من سنوات طويلة ولكنه لم يحدث "كاتي" عنها ابدا . وضع إصبعه على فمه وهو يراقب "بن" وخلع الشبكة بمفك. كانت الأصوات المكتومة التي تاتي عبر تجويف فتحة التهوية تصل إلى أسماعهما بوضوح تام.

– إنك لن تحبي أن تسمعي ما ساقوله ولكن هذا الولد يحتاج إلى وجود رجل .

تخشب جسد "ديفيد" في مكانه من ذلك الصوت المتعجرف . لابد أن "كاترين" لم يعجبها النبرة المتعالية التي كان يتحدث بها لانها ردت عليه بجفاء:

- إنه سعيد وقوي الجسد فلماذا اقلق ؟

- إنه جذاب وهذه ليست المشكلة . ولكنك لا تستطيعين ان تعرفي ما يخبئه لك المستقبل . فبعد عدة سنوات من الآن فإنه سيدخل سن المراهقة وهي عادة فترة صعبة . وعليك أن تستعدي لها من الآن . غير انك لا تستطيعين القيام بكل شيء .. إنه في حاجة إلى أب.

همهمت "كاترين" في ضيق وتردد:

- لست أدري .. لقد اكتفيت من هذه المشكلة. حسنا ... اعذرني يا "جوردان" فلابد أن أجري مكالمة ... إنها الاعمال وما أدراك ما الأعمال !

أشار "ديفيد" لـ "بن" أن يهبط إلى الأرض ويتبعه بعد أن أعاد الشبكة إلى مكانها وشرح:

- إنهما لا يستطيعان سماعنا حتى لو وصلا إلى مكان الفتحة. بدات عينا "بن" تلمعان من الإثارة :

- إن ما تعرفه كثير .. كيف عرفت ذلك؟

- إن هذه الأشياء موجودة في معظم البيوت العتيقة، ولكن هذا هو سرنا .. اتفقنا ؟ أما بالنسبة لـ "بينيت" فانت فعلا على حق: إنه أبله!

هز "بن" رأسه موافقا ومال ليحك ركبته وقال دون أن ينظر لمحدثه:

- لي صديق في الشارع اسمه "جوناثان" وقد انتقل إلى "الباسو" وسط المنزل ولم أعد أراه من مدة طويلة .

توقف "ديفيد" عن العمل .. لقد أصبحت المحادثة مثيرة.

- وفي يوم من الأيام بينما كنا نلعب "الاستغماية" في الصحراء قال لي "جوناثان": إن زوج أمه يضربه وبالأخص يلكمه وقد شكا لأمه ولكنها ثارت عليه غاضبة وقالت: إنه متعود على الكذب وقررت إرساله إلى "لويزيانا" عند جديه . لقد سعد بذلك لأن جديه لم يضرباه أبدا ولكنه كان حزينا لأن أمه لا تصدقه .

قال "ديفيد" برقة:

- مؤكد انه صادق .

- إنني أحيانا أفكر في "جوناثان" وفي النهاية لم ترسله إلى جديه وإنما إلى "الباسو".

- وانت تسال : هل لايزال زوج أمه يضربه؟

هز "بن" رأسه علامة الموافقة . جلس "ديفيد" على الأرضية وأجلسه على ركبتيه . خشى أن يحتج الصبي ويعترض على أنه ليس طفلا ولكنه التصق به.

شرح "ديفيد" في حنان وقد أحس بغصة في حلقه:

- هذه الأمور تحدث من آن لآخر . ولن تستطيع أن تفعل شيئا فيها . موافق ؟ ولكن عندك أمك و"فيلدا" و.. أنا ! ولن نسمح أبدا أن يحدث لك أي شيء من هذا . ومن رأيي الشخصي يجب ألا تشغل بالك بشأن "بينيت" . ليس معنى أنه يحضر من حين لآخر ولأنه يحضر زهورا أن تتزوجه أمك . ثم إنك تعرف أنها ذكية ولن تتزوج رجلا أبله .

رفع "بن" رأسه وعيناه مليئتان بالكراهية والخوف:

- ولكنه يجعلها تصدق أنها تحب أن تتزوجه؟ ومن المستحيل أن يصبح أبي حتى لو لم يضربني. مستحيل ..

قال "ديفيد" بحزم:

- كفى ! هذا لن يحدث أبدا.

همهم "بن":

- ربما !

- قلت لك لا .. سأمنعه و.. هل تحب أن ترى أحد أصدقاء أمك زوجا لأمك ؟

هز رأسه ببطء :

- "جونيور" لطيف و"جريج" احيانا يجعلني اضحك ولكنهما ليسا ابوين وإنما مجرد رجلين.

فهم "ديفيد" تماما ماذا يقصد الصبي . لا احد من بين اصدقاء "كاترين" يهتم حقا به وهو لا يهتم بهم إلا من اجل ان يقترب من الشابة. ساله :

- حسنا .. كم عددهم ؟

اخذ "بن" يعد على إصبعه كلما ذكر اسم واحد .

- "جونيور " و"جريج" و"بيتر البرايت" و"جوردان إيروين بينيت" . اما "راسل" فقد تزوج امراة ذات أنف حاد ولما كانت لا تحب امي لم يعد يحضر هنا .

ساله "ديفيد" وهو يتذكر المحادثة التليفونية التي تلقتها "كاترين" يوم اصطدم بها :

- وماذا عن "دوجلاس"؟

- هذا صحيح .. لقد نسيته . إن له بيتين و احداً هنا في "دلاس" وواحداً في ولاية أخرى ولا تراه كثيرا .

ابتسم "ديفيد" وقال:

- بهذا يصبح عددهم خمسة . ليست هناك مشكلة ومادمت لا تريدهم ان يضعوا اقدامهم هنا فإننا سنعمل معا على التخلص منهم.

قفز "بن" واقفا على قدميه وقد اتسعت عيناه من الإثارة والتمعتا من الفرح.

- هل سنقتلهم ؟ انتظر لدي فكرة . ما علينا إلا ان ندفنهم هنا ولن يعثر عليهم احد.

اجاب "ديفيد"وهو يضحك:

- لست سوى وحش دموي صغير . لا .. لا أعتقد ان نصل إلى هذا

الحد . كل ما سنفعله ان نقنعهم ان صحبتهم لامك في النهاية لن تسعدهم كما يتوهمون . ما رايك ؟ هل اتفقنا ؟

مسح "بن" يده في الشورت ثم مدها وهو يقول:

- اتفقنا !

احتضن "ديفيد" في سعادة الأصابع الصغيرة الغالية وقال :

- حسنا . اليوم سنتخلص من الطامع في الزواج رقم واحد... لقد قلت لي : إنه"جوردان" الذي لا يحب الاطفال؟

- إنه يثير أعصابهم.

- رائع!

بعد خمس دقائق غادر "بن" القبو وقطعة حلوى حمراء في فمه وقد بدا عليه التصميم . عاد "ديفيد" ليجلس على قمة السلم الخشبي ورفع الشبكة وانتظر.

سمع في الحال ضجة قدمي الصغير فوق الارضية الخاصة بحجرة المعيشة . ثم سمعه يسال :

- اين امي؟

- إنها تتحدث في التليفون عن الاعمال.

كان من الواضح ان "بينيت" يفكر في امر آخر ولم يتردد في تغيير لهجته:

- ألا يمكنك ان تتركها في حالها ؟ وكف عن الجري في كل مكان . المفروض عدم الجري داخل البيت .. الن تكف حقا عما تفعله ؟!

- حسنا .. اتحب ان أجلس قربك ونتناقش ؟

- نعم سيكون هذا حسنا .

ساد الصمت فترة .تصور "ديفيد" اثناءها "بن " وقد جلس على الاريكة بجوار الضحية . قال "جوردان" بصوت رقيق ودود ولطيف:

- انت تحبني جيدا يا "بنجي." اليس كذلك؟
- بلى يا "جوردان".
- إذن عليك أن تقول هذا لأمك . ثم .. لماذا لا تقول لها :إنك تحب ان تتزوج مرة ثانية ؟ هذا سيسعدك .. اليس كذلك ؟ وسيوجد رجل في البيت يمكنه أن يعلمك العديد من الأشياء ويزاول كل الأنشطة معك.
- مثل ماذا ؟
بدأت لهجة "جوردان" تقل رقة:
- لست أدري .. الأشياء التي يفعلها الأطفال في سنك.
- مثل عربة القمامة .. رائع! خبرني يا "جوردان" هل ستتزوج أمي ؟
- أحب ذلك جدا يا "بنجي" وأريد أن أصبح والدك يا "بنجي".
- رائع!إذن الأمر لا يستحق إذن ان أحدثها عن ذلك. فقد سبق أن تناقشنا ووعدتني انها عندما تتزوج فإنها ستنجب العديد من الأطفال غيري . لتعلم انها كانت ابنة وحيدة وكما كانت صغيرة لم تكن لتحب أبدا أن تكون وحيدة ولذلك تريد أن يكون لي إخوة واخوات عديدون .. وانت ..
- ما هذا الذي تحكيه؟
- ما قلناه انا وامي .. ويجب عليك -على اية حال- أن تسرع، فإن إنجاب خمسة أطفال يحتاج إلى وقت طويل وتخشى أن تصبح عجوزا ما لم تنجب توءمين .. لدي صديق اسمه "ريجر" كان ..
- لم تحدثني "كاترين" أبدا عن .. أين حلواك يا "بنجي"؟ لقد كان معك حلوى في فمك عندما جئت؟ أين هي ؟
كان صوت "جوردان" مشوبا بالخوف والقلق.
- لابد انني أسقطتها .. إن الحلوى الحمراء جميلة جدا ولكن الصفراء.. آه ها هي !

- أين ؟
- هنا على كمك .. إنني لن أستطيع ان أمسك بها لو تحركت .. حسنا .. لقد حصلت عليها .. إنها ملوثة ولزجة ولكن لا أهمية لذلك فإنني ساغسلها .
- أيها الـ... إنها حلة من الكشمير ! وأنت وضعت هذه القذارة الحمراء على كل الكم!
قال "بن" معلقا في رزانة:
- يجب أن تتعود على هذه الأمور يا "جوردان" وعندما يكون لديك ستة أطفال فإن ذلك سيحدث كثيرا .
همهم محدثه:
- أفضل أن أموت . اسمع .. قل لأمك : إن أمرا ما حدث جعلني مضطرا للرحيل.
كانت العبارة الأخيرة قد قيلت بصوت قوي وحازم قبل أن يغادر المسرح.
استند "ديفيد" على الجدار وبدا يضحك وقال:
- لم يبق سوى أربعة!
دخلت "كاترين" حجرة المعيشة وتجهمت وهي تمسح الحجرة بعينيها. سالت ابنها :
- أين "جوردان"؟
- لقد رحل ولكنه قال لي أن أخبرك أن أمراً ما حدث. إنني معجب بثوبك . ومن يراك يظن انك ستتناولين الشاي مع سيدات المجتمع.
- هل هذا كل ما قاله ؟ لقد كنت أتحدث بالتليفون فكيف عرف أن هناك شيئا ما حدث ؟ قص علي بالضبط ما حدث يا "بن".
- لقد تناقشنا .. انظري .. لقد شرحت له أن "كاسي" لديه أخوات

توعمات وفجاة .. آه .. نعم فجاة أدرك "جوردان" أن زيارته كانت للمكان غير المناسب واحمر وجهه حتى أصبح قانيا وقال: إن عليه أن يرحل .

هزت "كاترين" رأسها وابتسامة غيظ على شفتيها. إنها تحب "جوردان" حقا ولكن أحيانا يحدث أن يصبح مضجرا كما أنه فخور جدا بمظهره لدرجة المبالغة.

قال "بن":

- ألا يعد قليل الأدب لأنه رحل دون أن يخبرك أن حلته كانت قذرة؟

نهضت:

- أخشى أن تكون على حق . حسنا ! ساخبر : "فيلدا" باننا سنتلذذ بطبقها المخصوص في مرة ثانية .

قفز الصبي فرحا:

- سناكل في المطبخ مع "ماك" و"فيلدا" وستحلين خصلة شعرك لأنك عندما تصنعين تلك التسريحة تبدين في مظهر سيدات الأعمال وهذا المساء يجب أن نتمتع..

أيدته وهي تبتسم وتغادر الحجرة:

- بالضبط.

كانت في منتصف الدهليز عندما انفتح باب القبو وظهر وجه "ماكنزي" . اشتعل وجه الشابة في الحال. لقد ظلت ذكرى تلك الليلة تحت شجرة البلوط حادة وقاطعة. قال بهمسه المتحشرج:

- آه ها ! ها هو شبح الرئيسة . لقد بدأت أعتقد أنك من وحي خيالي فلم يحدث أن وجدتك في المكان الذي أكون فيه.

أجابت وهي تتجنب نظراته:

- كنت مشغولة.

- لا تثيري سخريتي . وتعشمت أن تستطيعي نسيان ما حدث في

تلك الليلة ... ولكنك ستستمرين في الحديث عنها .. أليس كذلك؟

همت أن تتجاوزه ولكنها غيرت رأيها وقالت:

- بالتأكيد.

- صحح لها :

- لقد كنت خائفة!

- هذا ما كنت أخشاه . حسنا جدا لتكن واضحين لقد أثرتني وتمادت الأمور متجاوزة الحدود .. لا شك أن ذلك لأنني كنت متفتحة.

- هذا أقل ما يقال في هذا الشأن.

استأنفت الحديث بصوت جاف:

- لقد كنا معا بالغين راشدين ويعرف كلانا معنى الانجذاب بين الرجل والمرأة.

حول رأسه جانبا بطريقة "بن":

- إنني متردد .. إن الجاذبية نوع معقد من العلاقات وربما كان عليك أن تكوني أكثر تحديدا لأن ذلك مهم لكلينا ومن الخطأ أن أسيء بك الظن.

- لست ...

قطعت كلامها حتى تستطيع أن تستعيد هدوءها :

- حسنا .. ساكون واضحة فأنا وحيدة من سنوات طويلة .

- أعرف أنك على وشك الانهيار وأخشى أن يزداد عليك الضغط في إحدى المرات ويؤدي بك للانفجار .

قالت بصوت كفحيح الأفعى :

- اذهب عليك اللعنة!

ساد الصمت ثم قال :

- هل تطردينني يا سيدتي ؟

صاحت في داخلها: "نعم وارحل أنت مطرود ولتذهب إلى الشيطان ولا تضع قدميك هنا مرة ثانية".

حاولت أن تقول ذلك ولكن الكلمات ظلت محشورة في حلقها وعندما استطاعت التعبير كانت أهدأ:

– لا .. إنني أحتفظ بك على الأقل حاليا . أنت تؤدي عملك على خير ما يرام..

ابتعدت قليلا عنه قبل أن تستدير وهي لازالت غير قادرة على تحمل نظراته وأكملت :

– و"بن" يحبك جدا . إنه يقص عليك أمورا لا يقصها علي رغم أنني أمه. بل إنني أحس بالغيرة من ذلك . لهذا أريد منك أن تبقى.. بشرط أن تعدني بنسيان ما حدث في تلك الليلة وإلا فلن أستطيع أن أحتفظ بك.

لم تؤثر فيه الصلابة والحزم اللذين استخدمتهما في كلامهامعه. لقد كان يعرف تماما مثلها أنها تريد أن تلقي به خارج الباب. وهي تريد ذلك من اليوم الذي تحداها فيه . قال:

– لن أنسى هذا ولكني أستطيع التظاهر بأنني نسيت وأنت كذلك لا تستطيعين التظاهر بأنك نسيت أيضا وأن ذلك سيحدث لامحالة وكل منا يعرف ذلك.

ابتسمت ابتسامة مرحة:

– إن هذا سينجح . أحيانا ما نتصرف وكان الخيال ينضم إلى الواقع.

عارضها برقة:

– لا . إذا كذبنا على نفسينا بهذه الكثرة فسينتهي الأمر بتصديق كذبنا . ولكن يبقى بعد ذلك الكذب وستظهر الحقيقة داخل النفس في مكان ما .

أخذت "كاترين" تلعنه وهي تبتعد في الدهليز.

إنه يخترق دفاعاتها بسهولة شديدة، والأسوأ من ذلك أنه ليس في حاجة لأن يحدثها أو يكون موجودا وإنما يكفي أن تفكر فيه حتى تفقد راحتها . قالت لـ"فيلدا" . وهي تقتحم المطبخ:

– لقد رحل "جوردان" . ويمكنك أن تحتفظي بالجبن الخاص مرة أخرى .. في الحقيقة يمكنك أن تحتفظي بالكل مرة ثانية . أعتقد أنني ساصحب "بن" للعشاء في مطعم "بيتسا" .. هل تاتين معي؟

ردت "فيلدا" في تهكم :

– طبعا وبالتأكيد . سآتي وسط طاولات شبه عاريات وأطفال يصرخون بأعلى أصواتهم ويزحفون بين قدمي.. كم أعشق هذا المنظر.

اعترفت "كاترين":

– أنا أيضا لا أحب هذا ولكنه الجنة بالنسبة لـ"بن" .

عندما وصلت حجرة المعيشة سمعت صوت "ماكنزي"، كان هناك مع "بن". تسمرت في مكانها وأحست داخلها بالخوف . ما الذي ستفعله ؟ هل ستختبئ في كل مرة يظهر في محيطها ؟ قال لـ"بن" مؤكدا:

– أنت موهوب يا "بن" وممتاز.

أجاب "بن":

– في الحجرة التي لعبنا فيها المسرحية في "الكريسماس" كنت أمثل دور الرنة الحزينة . لقد كان عندي الكثير الذي أود أن أقوله عن الآخرين وقد تذكرت كل شيء وحكت لي أمي أنه كان يبدو علي الحزن الشديد حتى إنها أخذت في البكاء . وهذايعني أنني كنت ممتازا في أداء دوري. وقال "جوردان": إنه يريد أن يصبح أبي .

أحست "كاترين" برغبة عارمة في اغتيال "جوردان إيروبن بينيت". لم يكن من حقه أن يجري حديثا حول هذا الموضوع مع ابنها . تقدمت

حتى عتبة الباب وهي ترغب في دراسة تعبيرات وجه ابنها حتى تستنبط تاثيرات تلك الملاحظة غير المناسبة. استمر الصبي:

– ولكنه كان يحتاج إلى ولد مثل "ماركي آدمز" في منتهى الرزانة .لا يتسخ ابدا ولا يحب الحلوى. إنه يفضل عليها أصابع الجزر .. هل أدركت هذا ؟

أخذ "ماكنزي" يضحك . وقف بجوار الطفل تماما وقد وضع ذراعا حانية على كتفه . واعلن بصوت بطيء:

– ساخبرك بشيء يا "بن" . لا يمكن أن يستحق اي رجل شرف أن يكون له طفل مثلك إلا ويجب أن يسجد لله شكرا .

كان يعبر بصوت هادئ رزين ولكنّ عينيه عنبريتي اللون كانتا ممتلئتين بالشجن . تقهقرت "كاترين" في هدوء . لابد انه سيثور غضباً لو اكتشف أنها شاهدت مدى عذابه والذي شاركته فيه لحظات. اما بالنسبة لها فقد ساءها أن تعترف أنها أحست برغبة عارمة أن تذهب إليه وتحتضنه إلى أن يكف كلاهما عن الشعور بالعذاب .

الفصل الثامن

كانت "كاترين" تمسك بعجلة القيادة بيد والتليفون المحمول بالاخرى وتقول في السماعة:

–اخبري "جونيور" انني ساكون هناك في اقرب وقت ممكن .

اما السيارة التي كانت امامها فكانت تسبقها ببضعة امتار . حافظت على المسافة بين سيارتها "الشيفروليه" الصغيرة وتلك التي أمامها . ثم استانفت حديثها في التليفون المحمول:

– ولكن إذا لم يتحسن المرور فإننا لن نلحق بالعجة النرويجية المزعومة.

اجابت "فيلدا":

– سانقل له الرسالة ولكن لا تتصوري أنه يمكن أن أجلس معه. انا لا اطيق هذا المخلوق. إنه يتحدث ببطء شديد ويجعلني أرغب أن الكمه على ظهره حتى يخرج الكلام من فمه.

- أنا لا أسمح لك أن تكلمي ضيوفي إلا بإذن خاص مني . اطلبي من "بن" أن يجلس بعض الوقت معه.

قطعت "كاترين" الاتصال ووضعت السماعة على المقعد المجاور لها وأخذت تدلك رقبتها بيدها الحرة. لقد كان النهار طويلا . لقد طارت هذا الصباح إلى "هيوسفون" بغرض التفتيش على مركزي الغسيل الآلي السريع الجاري إنشاؤهما . ثم قضت بقية الوقت في الجري ذات اليمين وذات الشمال لمقابلة جميع الناس من سمكرية إلى مسؤولي البلدية وأخيرا عادت طائرتها متأخرة ساعة عن موعدها وها هي الآن محاصرة وسط زحمة المرور الكثيف ثم هناك أيضا عشاء غرفة التجارة.

لم يكن "جونيور" عضوا في هذه المؤسسة . ولا دخل له في أي شيء له علاقة بأي عمل ولكن كانت له ميزة وحيدة وهي أنه دائما خال عندما تحتاجه "كاترين" ليصاحبها . وعليه فإنها اتصلت به في الأسابيع الماضية واحتاجت إليه أكثر فأكثر، حيث بدا أن بقية أصدقائها قد اختفوا . لم تعد ترى "بيتر" ولا "جريج" ولم يرد "دوجلاس" على أية رسالة مسجلة بالتليفون. كما لم تصلها أية أخبار عن "جوردان" لم يساورها أي شك . لقد بذلت كل جهدها حتى تصبح علاقاتها بهم أفلاطونية وفاض بها الكيل من العودة كل مساء من تلك السهرات المملة ومن استخدام علاقاتها للدعاية عن مراكز غسيل السيارات السريعة. ومن كل شيء. فكرت في أن تبيعها كلها وهي في رحلة العودة بالطائرة.

أرهبتها الفكرة قليلا ولكنها سحرتها أيضا أكثر فأكثر . إنها ستعيد استثمار جزء من رأسمالها في الأسهم أو في الأملاك العقارية وهو ما نصحها به "بيتر" وأن تبدأ من جديد بالباقي بأن تفعل شيئا يعجبها حقا .. ولكن ما هو ؟

لم يكن السؤال جديدا عليها . ففي المدرسة ثم الجامعة كان كل

أصدقائها يعرفون ماذا يريدون أن يفعلوا في حياتهم. فمنهم من أرادوا أن يكونوا: أساتذة أو أطباء أو محامين أو مهندسين أما هي فلا ...

لم يكن لديها أدنى فكرة . إنها ستفعل شيئا يثير حماسها ... ولكن ما هو؟

والآن بعد كل تلك السنوات تجد نفسها في نفس الموقف .

بعد نصف ساعة وهي تدخل المطبخ وقفت وكفت عن التقدم. لقد كان "ماكنزي" هناك .. أو بالأحرى الجزء السفلي منه كان هو الظاهر أما الجزء العلوي فقد كان مختفيا تحت حوض الأواني

كان قد مر شهر على تلك الليلة الشهيرة التي تقابلا فيها مصادفة في الحديقة . وبعد ذلك الجدل البسيط أصبحت علاقتهما أقل توترا . ومع ذلك فإن بعض التعبيرات على وجه موظفها أو في عينيه كانت تذكرها بما حدث بينهما وقتها، حتى وإن لم يتحدثا في ذلك أبدا .

ظهر من تحت الحوض في الوقت الذي كانت تضع فيه حقيبة أوراقها فوق خطة العمل . قال :

- إن التصريف يحدث صوتاً غريباً.

- لابد أن "فيلدا" حاولت التخلص من شخص لاتحبه وبالمناسبة أين شمس يومنا المشرقة "فيلدا"؟

أخذت تجول بعينيها في الحجرة. انحنى "ديفيد" للخلف حتى يتمكن من لف المفتاح الإنجليزي لفة أخيرة:

- لم يسلم الجزار اللحم الممتاز وقررت أن تذهب إليه بنفسها لتعبر له عن غضبها .. لقد فهمت أنهما عدوان من زمن بعيد.

مالت برأسها لليمين ثم لليسار وحركت رقبتها للتخلص من الآلام.

- إن بينهما علاقة عاصفة . إن "فيلدا" تكره الجزار وتعشق توبيخه.

تأملها "ماكنزي" لحظات ثم نهض وذهب ليحضر زجاجة مياه معدنية

من الثلاجة وفتحها وناولها إياها. ابتلعت بضع جرعات بعد أن شكرته ثم ضغطت الزجاجة الباردة على خديها وهي تميل على خريطة العمل. سألته:

- ما رأيك يا "ماكنزي" في معارض الفن؟

- دعيني أفكر .. الإضاءة فيها ممتازة ولكن الناس غريبو الأطوار. عندما يذهب المرء إلى معرض عليه أن يحضر مبكرا وإلا فسيجد البوفيه فارغا وعليه أن يتحمل من يدعي العلم بالفن وهو يتحدث طوال السهرة في كلام غير مفهوم .. أليس كذلك؟

- لست أقصد هذا. وإنما ما رأيك من ناحية الأعمال التجارية؟ ولكن دعنا من الحديث عن ذلك فإنه لا يثير اهتمامي حقا.

- لا تخبريني بأنك تريدين توسيع إمبراطوريتك.

احتست مزيدا من المياه المعدنية:

- لا .. أريد أن أهجرها .. سأقول لك عن سر يا "ماكنزي".

- سأكون صامتا صمت القبور وأقسم بشرفي كرجل أن أفعل كل ذلك.

أعلنت بلهجة حادة:

- لا يهمني إن كانت السيارات تبقى نظيفة أو متسخة. إن هذا العمل ليس مهما بالنسبة لي .. وأحيانا يحدث لي أن أقابل وكيلا تجاريا يحاول أن يبيعني سلعة مثلا لتلميع جسم السيارة أو أحد عباقرة الدعاية الصغار وقد سيطرت عليه فكرة أن الحملة التي يقترحها يمكن أن تعطي صورة خرافية لعملية الغسيل للسيارات. وهم يتحمسون في إيمان عميق يكاد يصل إلى درجة القناعة الدينية لدرجة أنه تجتاحني رغبة شريرة وعارمة أن أمسكهم من ياقاتهم وأقول: "هاي"! الهدوء! نحن نتكلم عن غسيل السيارات!

انطلق في سلسلة من الضحك وهز رأسه أخيرا وقال:

- إنهم لن يفهموا ..

- أعرف وهو ما يزيد الأمر سوءاً.

سألها فجأة:

- بدلا من شراء معرض لماذا لا تبتكرين ما يمكنك من إقامة معرضك الخاص؟

تجهمت. لقد سبق لها أن رسمت فيما مضى. بل إنهم قالوا لها: إنها موهوبة. "ديفيد" وجد عندها الكثير من الموهبة ولا شك أنه كان يحبها جدا ولكنها لم تكن واثقة بنفسها بحيث تعرض أعمالها. ربما ..

سألته وهي تلقي عليه نظرة جادة:

- ما الذي يجعلك تظن أنني أمتلك مواهب فنية؟

- لست أدري .. ربما من أصابعك.

نظرت إلى يديها ووجدت أنها عادية. استأنف "ماك":

- يبدو عليك الإرهاق.

تنهدت:

- أنا فعلا منهكة. هل لايزال فارسي الخادم ينتظرني أم أنه اكتفى من الانتظار ورحل؟

مال "ماك" برأسه وقد بدا عليه السخرية:

- إنه لايزال موجودا. إن "جونيور" له الحظ أن يكون غنيا ولكنه ليس عبقريا ..

- إذا كنت تحاول أن توترني فإنك لن تنجح فأنا متعبة للغاية و"جونيور" ممتاز.

- أراهن أنه مريح.

قالت:

- فعلا.

– ولكنك لن تستطيعي المواصلة. فلم لا تلغين موعدك وتسترخين ساعة أو اثنتين في البانيو الساخن؟

– لا أستطيع . لابد أن أذهب لحضور هذا العشاء ولو أخذت حماما جيدا وأعدت زينتي فلن يلاحظ أحد شيئا علي .

اتجهت إلى السلم وسمعت صوت "بن" الذي كان يصاحب- دون شك- "جونيور" كما طلبت منه:

–وأنه ليس مستحبا أن يكون لدى المرء مال كثير وهي تقول: إنها لو عندها الكثير من المال لتبرعت به .

– كيف هذا .. ما الذي تحكيه؟

– هذا ما قالته أمي . ربما لو تزوجت فإنها ستتبرع بالكثير من مال من ستتزوجه .. هل عندك الكثير من المال .. يا "جونيور"؟

– أوه .. نعم. بالتأكيد .

– ولكنه لن يضايقك ألا يكون عندك الكثير من المال ويمكنك أن تجد عملا...

– عملا؟ أي عمل ؟ ولماذا أنا مضطر للعمل ؟

– أوه .. ربما لن تكون مضطرا لذلك . وإذا وهبت أمي كل أموالنا فإننا سنصير بالضبط مشردين. لقد شاهدت فيلما عن المشردين . فهم دائما يضعون ملعقة في جيوبهم حتى يستطيعوا أن يأكلوا من العلب مباشرة . إنها علب الفاصوليا البيضاء ... ألا يأكل المشردون سوى الفاصوليا البيضاء؟ وهم ينامون على الأرض تحت شجرة في الحديقة. كم أحب أن أنام على الأرض! ألا تحب ذلك؟ لو تزوجت أمي وتبرعت بكل أموالك فإننا سنقيم مخيما ويمكننا ...

أعلنت "كاترين" وهي تدخل الحجرة وكان "جونيور" منهارا فوق الأريكة وقد غطى العرق جبينه وبدا عليه الرعب مما جعلها تضحك:

– كفى ! لقد سمعت ما فيه الكفاية ... هل يمكن أن تقدم لي بعض التفسير يا "بن"؟

قال الصبي وهو يهز كتفيه بلا اكتراث:

– لقد كنا نتناقش .

– لقد بدا لي أنك الوحيد الذي كنت تثرثر . وماحكاية المشردين؟

تدخل "جونيور" بصوت ضعيف:

– لا أستطيع أن أتبرع بنقودي فهي عبارة عن أسهم وسندات .. أنا لا أستطيع أن أنام تحت الشجر في الهواء الطلق. إنه خطر يا "كاترين". ثم إن رئتي ضعيفتان لا تتحملان الرطوبة .

أخذت تناديه وعندما تأكدت أنه منتبه لها قالت بصوت حازم وبطيء:

– لا ينوي أحد أن يجعلك تنام تحت الشجر تحت النجوم. إن "بن" يحاول فقط أن يفزعك بطريقة رقيقة جدا والآن سيذهب إلى حجرته ويجلس أمام مكتبه ويفكر فيما يحدث للأطفال الذين يتصرفون برقة. أما أنا فإنني سأذهب لأستعد وأعدك ألا أتأخر.

فكرت في المسكين "جونيور" وقد أحست بالسعادة والمرح وهي تتجه نحو السلم . أن يحصل "جونيور" على عضوية نادي كبار رجال المال والأعمال فهذا كل ما يطمع فيه . لم تكن لتتعجب لو فردون أن ينظر وراءه . وهو يصرخ . لقد نجح "بن" في مس نقطة ضعفه . تسمرت في مكانها وهي تتساءل : كيف استطاع "بن" بمفرده أن يعرف كل هذه النقاط المهمة والحساسة؟ ثم في الأسابيع الأخيرة هرب "جوردان" دون رجعة من البيت مباشرة بعد أن جادله الصبي و"جريج" و"بيتر" و"دوجلاس" فعلوا مثله ورحلوا دون أن يتركوا كلمة واحدة لها . لا يمكن أن يفعل "بن" كل هذا بمفرده.

وهي تعرف بالتأكيد من وراء مساعدته.

دارت فجاة واتجهت نحو المطبخ . كانت "فيلدا" تقوم بإعداد شرائح اللحم والقت عليها نظرة سريعة وقالت :

- أرى أنك استطعت الخروج من زحمة الطريق .

وافقتها وهي تنظر إلى "ماكنزي".

- فعلا .

نظر إليها نظرة متسائلة وتاملته هي ايضا في صمت . ثم قال :

- حسنا .. ساترككما بمفردكما لتتبادلا ما تريدان من أسرار.

تبعته "كاترين" إلى الحديقة . استدار عندما سمع صوت الباب يصفق خلفها فقال:

- لقد اعتقدت أنك تريدين الحديث مع "فيلدا" بمفردكما ولكني أرى أن ذلك ليس حقيقة الأمر .

لم تحاول أن تخفي عداءها :

- أنت الذي أريد الحديث معه. عندما ذهبت إلى حجرتي سمعت "بن" و"جونيور" يتحاوران ..

هز رأسه علامة عدم الرضا .

- ليس من الأدب التجسس على أحاديث الآخرين.

رفعت عينيها إلى السماء :

- هل تعرف ماذا كان "بن" يقوله ؟ لست أدري لماذا أسالك. فانت تعرفه بالتاكيد . إنه يقول لـ"جونيور" إنه عندما نتزوج فإنني ساتبرع بماله ونصبح مشردين . لقد ظننت في البداية أنها فكرة "فيلدا" ولكن هذا ليس طبعها . أنت الذي دفعت "بن" ليفعل ذلك.. أليس كذلك؟

- أخشى أن الإجابة هي نعم. لقد حدثني "بن" عن مشكلة وقدمت له بعض النصائح .. هذا كل ما هناك.

- إنه أمر يثير الغثيان . أعرف أنك تحب أن تعذبني ولكن يجب عليك

أن تشعر بالعار من تلاعبك به بهذه الطريقة!

رد قائلا:

- لم أتلاعب به وإنما قدمت له النصح.

- ولكن ماذا تعتقد ؟ اشرح لي من فضلك!

ظل لحظات صامتا وعيناه مثبتتان على الأرض ثم رفع رأسه لينظر في عينيها. قال:

- لقد بدأ كل شيء يوم حضر "جوردان" وكنت في القبو وجاء ليختبئ هناك . ثم بدانا نتحدث عن أصدقائك . وكان من الواضح أنه خائف أن تتزوجي أحدهم.

قاطعته في تبرم:

- لا تقل لي: إنك لم تجد عذرا أحسن من ذلك . إن "بن" لم يفكر بالتاكيد...

جاء صوت "ماكنزي" هادئا ولكن حاسما:

- لم تكوني هناك . إنك لم تشاهديه . لقد كان خائفا.

أطلقت "كاترين" زفرة طويلة . إنها لم تستطع أن تغضب منه لأنه أراد التدخل هكذا في شؤونها. إنه قلق حقاً على "بن" وهي تعرف ذلك. سالته :

- ولكن لماذا لم يحدثني عن ذلك؟

- إنه لم يرغب في أن يجرح مشاعرك.

صاحت:

- إنه دائما يدهشني . ليس لديه أي سبب لأن يقلق . لم يكن لدي أدنى رغبة في الزواج بأحد أصدقائي حتى لو كانوا أكثر من أصدقاء. بالنسبة لي لا أحد منهم يصلح لي أبدا وأنا لن أتزوج بأي شخص لا يحبه "بن" حباً حقيقيا.

WWW.REWITY.COM

–حسب ما قاله لي فإن والد "بوبي ستيوارت" يحبه جدا ويبدو عليهما الانسجام التام.

هزت رأسها .

– أنا لا أشك في ذلك . ولكن ذلك مستحيل . لو حاولت أن أكون أسرة جديدة فلا بد أن يكون رجلا أرتبط به جيدا حتى وإن لم أقع صريعة حبه .

– من يسمعك يظن أنه من الصعب أن يصبح المرء والدا .

وافقته في إرهاق:

– إن كلامك من ذهب . إن الحياة مليئة بأمور صغيرة دون أهمية وفجأة تدرك أنه من أجل ابنك تصبح تلك الأمور مهمة وقد تتدخل في تحديد مستقبلك. ليس لـ"بن" سواي وأنا مسؤولة عنه تماما . ولا بد أن أسهر على صحته وسعادته وأمنه .. كل هذا يقع على عاتقي .. وبصراحة أنا مريضة من الخوف.

– طبعا . ولكنك لو تزوجت مرة ثانية فسيكون لديك شخص ليساعدك على حمل هذا العبء.

– آه ها ! من ؟ "جونيور"؟

اعترف وهو يضحك:

– لا .. ولكنه ليس الرجل الوحيد في العالم.

– بالتأكيد . ولكن كيف يمكن أن أعرف أيهم يفكر في "بن" قبل أن يفكر في نفسه ؟ إنني لم أعثر بعد على تلك الدرة النادرة وبصراحة لست واثقة بوجودها.

فكرت في نفسها فجأة : "بل توجد وهذه الدرة النادرة توجد في هذه اللحظة بجوارها . ولكن من الأفضل ألا تفكر فيه".

أخذ "ماكنزي" يتأملها في صمت ثم همس:

– لقد كان الأمر صعبا عليك . أليس كذلك ؟ أن تربيه بمفردك وعلى الأخص أن تقلقي عليه أيضا بمفردك.

– هذا أسوأ ما في الأمر . أن أظل ساهرة طوال الليل. وأنا مرعوبة من فكرة أن أرتكب خطأ. وأقل الأمور تكتسب أهمية وسط ظلام الليل وليس هناك من يقول لي ألا أقلق وأشغل نفسي على لا شيء.

وضع كفه على خدها وقال:

– أنا آسف .. لأنك اضطررت لمواجهة كل ذلك بمفردك . أنت لست عنيدة كما يبدو عليك ..

لاحت ابتسامة عدم الاطمئنان على شفتيها:

– ولماذا لا أعترف بذلك؟ بأنني ضعيفة رغم مظهري . لابد أن أتظاهر بالقوة وإلا فعلي أن أدفن نفسي في ركن .. حسنا، سأذهب لأستعد . ربما لو حالفنا الحظ لوصلنا في الموعد المناسب لهذه الحفلة.

– ماذا ؟ هل لايزال "جونيور" موجودا ؟ لقد ظننت فعلا أن من الصعب التخلص منه مثل الآخرين .

– دعه في حاله من باب الرحمة . بفضل جهودكما أصبح من المحتم علي ألا أرى سواه.

من فترة طويلة تغير تعبير "ماكنزي" إلى العكس تماما وفي لحظة واحدة ضاقت عيناه وقست تقاطيعه ورد بكل سخرية:

– إلى أي مدى ستظلين تستعيدين الرجال؟

أدار لها ظهره بعد ذلك وتركها دون أن يضيف كلمة. عادت الأمور إلى نصابها ومع ذلك عندما وضع كفه على خدها كانت الأمور مختلفة .

وهو مستعد لأن يقسم أنه نظر إليها بنفس اللهفة التي ينظر بها إلى ولده "بن".

WWW.REWITY.COM

الفصل التاسع

قال "رالف" متأففاً:

- لدي شعور بأنني لص . إنني أكره أن أضطر للانتظار حتى ترحل "كاترين" وأتي لرؤيتكما "بن" وإياك.

كان قد لحق بـ"ديڤيد" في شقته فوق الجراج وأخذ يذرع الحجرة ذهابا وإيابا بينما صديقه يتناول غداءه والذي قال له:

- إذا كان هذا يضايقك فلماذا تفعله ؟

- إنني لا أجرؤ على الحضور وهي هنا . إنني أخشى دائما أن أنخدع وينتج عن ذلك كارثة . والمشكلة هي أنها قلقة علي .. هل تدرك ذلك ؟ عندما تتصل بي تليفونيا أقول لها: إن كل شيء على ما يرام ولكنها ليست ساذجة لأنها تعرف بالضبط كل ما ليس حقيقياً . أنا قلق عليك يا بني وطبعا على "بن" و"كاترين" أيضا . ولكني أقلق بصفة خاصة عليك.

قال "ديڤيد" متهكما:

- لقد علمت مؤخرا ما يجب على الوالدين أن يفعلاه.

قال "رالف" بإلحاح وقلق:

- كم من الوقت سيستمر هذا الحال ؟ إنك لا تعمل إلا من أجل أن تزداد غرقا يوما بعد يوم.

لم يكن لدى "ديڤيد" ما يجيب به على هذا السؤال: كيف يمكنه أن يقول لـ"رالف" ما ينوي أن يفعله وما يحسه وهو نفسه لا يعرف عن ذلك شيئا؟

وكان عليه أخيرا الاعتراف بأنه استفاد من الموقف مع "بن" فلو شرح لـ"كاترين" ما يشعر به الطفل لاستطاعت أن تطمئنه، ولكنه أراد أن يحل المشكلة ويعمل شيئا مهما لابنه . ثم إنه لا يتحمل أن يدور رجال آخرون حول زوجته . حتى ذلك العجوز الطيب"جونيور".

اقترب منه "رالف" ووضع يده فوق كتفه:

- يجب أن تسعى إلى الأفضل يا بني . ولن أدعي أنني أعرف ذلك الأفضل . ولكن إن عاجلا أو آجلا ستتفجر الحقيقة وتتضح . فكر في ذلك.

بعد نصف ساعة بينما كان "ديڤيد" يقص أطراف السياج ويسويه أخذ يفكر في تلك المحادثة بلا انقطاع.

لقد كان "رالف" على حق. فما دام هو في خدمة "كاترين" فإنها يمكن أن تكتشف بمحض المصادفة حقيقة هويته . وليس أمامه سوى أمر واحد يفعله ليتجنب ذلك : أن يرحل .

ولكنه لا يستطيع .. ليس الآن. لو وصل إلى فهم ما يحسه نحو الشابة ربما أصبح كل شيء واضحا وربما عرف أخيرا: كيف يساير هذا الموقف المستحيل ويعرف ماذا يريد أن يفعل ...؟

صفق "بن" باب الدخول ثم اندفع بين ذراعيه وهو في شدة الإثارة بحيث لا يستطيع أن يستقر في مكان .

- بسرعة يا "ماك" إن الأمر عاجل! لقد نسيت أن أخبر أمي أن لدينا مباراة اليوم وإذا كسبنا نصبح أبطال المنطقة . وأنا أحسن ضارب للكرة في الفريق . لابد أن أذهب إلى هناك ! أسرع ! لابد أن نكون هناك في الساعة الثالثة والساعة الآن تجاوزت الثانية والنصف .

ألقى "ديفيد" نظرة على البيت:

- ولكن لماذا تطلب مني ذلك ؟ أين "فيلدا"؟

- إنها لا تستطيع أن تصحبني لأنها ستتسلم اليوم مقعدها ذا المساند بعد ظهر اليوم. هيا تعال من فضلك.

أخذ "بن" يشد "ديفيد" نحو سيارته.

- أليس من المفروض أن تحدث أمك عن ذلك؟

- لقد اتصلت بها .. وقالت يجب ألا أقاوم أو أبكي ولكنك ترغب أن تصحبني .. إنني لن ألح.

رفع عينيه نحو "ديفيد" لحظة وهو لا يكف عن الحركة.

ابتسم "ديفيد":

- طبعا أيها العجوز .. ولكن امنحني دقيقتين لأستعد.

عندما وصلا إلى الحديقة كان أفراد فريق "بن" المسمى "كاستورز" ينتظرون دورهم بينما أفراد الفريق المنافس يقومون بعملية الإحماء فوق الملعب الذي ستجري فوقه المباراة. خلع "ديفيد" السويتر ليستفيد بالشمس . صاح "بن" كما فعل عدة مرات من قبل :

- كل هذه الجروح ! لابد أنك كنت تتعارك بضراوة .

همس "ديفيد":

- ليس تماما ؛ ولكنّ هناك أناسا يحبون أن يضربوا الآخرين خاصة

إذا كانوا يعرفون أنهم لن يتعرضوا إلى ضربة قاسية ممن يعذبونهم . لا تفعل ذلك أبدا يا "بن" ولا تضرب أبدا شخصا لا يكون مستعدا !

التقت عيناه بعيني الصبي . وافقه الصبي وقد بدت عليه الجدية:

- إن "مالكولم" وهو صبي في مثل سني قد وضعوا قضبانا من الحديد حول ساقه حتى تنمو كما ينبغي وفي مرة من المرات بدأ ولد أكبر منه يضايقه ويستفزه . كما أنني تلقيت التوبيخ من الآنسة المدرسة لأنني نثرت التراب في عينيه .. في عيني الولد الكبير وليس "مالكولم". لقد عاملت الكبير على أنه وغد. أنت تفهم طبعا . لم أكن لأريد أن أصل معه إلى هذا الحد لأنه ضخم . إن أفضل ما في الشجار هو ما نقصه بعد ذلك على الأصدقاء . إن منع الضخم من أن يفعل كما يحلو له أو هزيمة "روي" الضخم وهو أقوى ولد في الفصل إنما هو عمل مرموق. ولكن ضرب شخص لديه قضبان حديدية حول ساقه فهو عمل لا يدعو للفخر .

تأثر "ديفيد" وأخذ يشكر "كاترين" في أعماق أعماقه . لقد كانت تربيتها لابنها كاملة ولا يمكن أن يحلم أي رجل بأن يكون له طفل بمثل هذه الروعة .

بعد لحظات لمح أصدقاء "بن" وصوله وأخذوا ينادونه بأعلى أصواتهم . ذهب "ديفيد" ليجلس عند أسفل المدرج أقرب ما يكون من فريق "كاستورز". لاحظ في الحال بأن الناس المحيطين به كانوا يتجنبون بعناية الاصطدام بذراعيه وآثار جروحه العميقة على تلك الذراعين . اقتربت منه امرأة ونظرت إليه بإمعان في فضول وإلحاح أشعره بالضيق في الحال . سألته :

- هل أنت مع "بن مور" ؟

- نعم .

- أعتقد أن "كاترين" لم تستطع الحضور . هناك أشخاص يهتمون بأعمالهم أكثر من أطفالهم..

انتظرت منه أن يرد ولكنه لما لم يفعل وظل صامتا أكملت حديثها بلهجة جافة:

- هل أنت من العائلة؟

رد عليها دون اكتراث.

- لا .. صديق.

- حقا ؟ صديق لـ"كاترين" أم ...

في تلك اللحظة حدث هرج بين فريق "كاستورز" وصاح أحدهم: شجار! بينما ارتفع وسط الملعب صوت صبي:

- هيا يا "بن"!

ترك معظم الآباء المدرج وهم يجرون ولكن "ديفيد" كان أول من وصل. كان "بن" محاطا بكتلة صاخبة وهو يصارع مع واحد من أضخم الأولاد. استطاع "ديفيد" بصعوبة أن ينزع ابنه من وسط الخليط وأخذه بين ذراعيه ثم دار نصف دورة . وجد نفسه وجها لوجه مع المرأة التي سبق أن خنقته بأسئلتها. قالت بصوت كريه وكأنها تتقيأ وتركع مع المنافس لـ"بن":

- من الأفضل أن تعتني بصديقك.. انظر ماذا فعل بابني "باتريك"!

وضع ابنه أرضا بعد أن ابتعد . كانت يدا "بن" مقبوضتين بشدة وقد أصبح وجهه قانيا من الغضب.

- اهدأ يا "بن" لقد انتهى الأمر .. ماذا حدث؟

أخذ الصبي يلهث وهو يقول :

- لقد أشرت إليك وقلت: إنك أفضل أصدقائي. وصفك "تشاو" عندما رأى آثار الحروق بأنك محارب "نينجا" وعندئذ قال ذلك الأبله "باتريك

بوزي". إنك وحش وعليه وصفته بوجه الفار.

- أهكذا بدأ الشجار؟

- لا .. في الحقيقة أراد "باتريك" أن يعرف كيف حدثت لك تلك الجروح وقلت له: إن ذلك حدث عندما حطمت وجوه الفئران . ودفعني نحو "جيرمي" الذي أعادني نحوه ولما طفح بي الكيل فقد وجهت لكمة قوية إلى معدته .. إن "باتريك" وغد حقيقي .

قال "ديفيد" وهو يحاول أن يحتفظ بجديته بصعوبة:

- أخشى من أن تكون مواهبك الدبلوماسية ليست صالحة. وضع يده على كتف طفله بعد أن ركع ليكون في مستواه.

- اسمعني يا "بن" . إن ما سأطلبه منك لن يسعدك. أريد منك أن تقدم اعتذارك لـ"باتريك" لأنك وصفته بوجه الفار.

- ولكن ...

- ليس هناك أي اعتراض مقبول .. لابد أن تفعل ذلك لأنك ولد ممتاز وأنك قادر على تحمل الأمور غير المقبولة و"باتريك" كان شريرا ولكن ليس لهذا أي أهمية ولا تستطيع أن تفعل شيئا في ذلك بل على العكس. يمكنك أن تحرص أنت على ألا تفعل مثله . هل فهمت ؟

ظل "بن" لحظات صامتا وهو متجهم ثم أخذ نفسا عميقاً ونظر إلى "ديفيد" في وجهه مباشرة .

- أنا لا أندم أبدا لأنني وصفته بوجه الفار لأنه فعلا هكذا بالضبط وكل الناس في المدرسة يعرفون ذلك . ولكني أريد أن أقدم له اعتذارا لأنك طلبت مني ذلك.

انطلق نحو أرض الملعب واتجه مباشرة نحو "باتريك" المرمي على أمه . وقف "ديفيد" على بعد ورأى ابنه وسمعه وهو يعتذر - رغما عنه - لخصمه. جاء باقي أعضاء الفريق حيث ربت كل منهم ظهره في ود .

بينما "باتريك" لم يرد عليه وإنما علا وجهه تعبير كريه . لقد شجعوا تصرف "بن" بينما تجنبوا "باتريك" الأمر الذي أراح قلب "ديفيد". عندما عاد المتفرجون للجلوس في أماكنهم فوق المدرج جلست السيدة "بوزي" بعيدا عنه مما زاد راحته .

بعد ربع ساعة عندما اخذ "بن" مكانه في الملعب كمهاجم بدا عليه التفكير . تمنى "ديفيد" أن ينسى الحادثة بسرعة وسط الأحداث الساخنة .

أعلن "أوهالوران":

- عندي أمران أو ثلاثة اقولها لك مادمت تحت يدي !

كانت "كاترين" جالسة في حجرة مكتب السمسار الواقع في أحد المباني الضخمة وسط "دلاس" وذلك من ساعة . كان المشروع الذي يتحدثان عنه يجعلها دائما غير مهتمة . تابع محدثها وهو يخرج أوراقا من قميصه:

- أولا: اعلمي أن الأراضي الخاصة بـ"ميدلاند" و"أوديسا" يمكن أن تكون اغلى مما هو متوقع ومن الواضح أن الرغبة في شرائها قد انتشرت . ولدي اثنتان أو ثلاث يمكنني أن اعرضها عليك ويمكنك التفكير في هذا ...

أخذت "كاترين" الورقة التي مدها لها وتظاهرت بالاهتمام ومع ذلك كانت تسخر من نفسها وهو امر من جانبها لامحالة . ولكن حاجة أصحاب سيارات الأجرة الماسة لإقامة مراكز غسيل سيارات ممتازة جعلتها باردة كالرخام.

ندمت على أنها لم تلغ ذلك الموعد وعلى أنها لم تحضر مباراة "بن". طبعا لم تكن هذه المباراة سوى الثانية التي لم تحضرها ولكنها لاتريد أن يبعدها عملها عن ابنها . على اية حال "ماكنزي" موجود معه مما

جعلها اقل شعورا بالذنب . إن صديق "بن" الكبير يشجعه ويهنئه بكل حرارة وهي لا تشك في ذلك ابدا .

رن جرس التليفون. قال "أوهالوران" .

- ألو!

اعطاها السماعة في الحال وهو يقول للمتحدث :

- ساعطيك إياها.

- إنه انا .

تعرفت في الحال على ذلك الصوت الضعيف الأجش وتقلصت معدتها من القلق:

- ما الذي جرى يا "ماك"؟

- لقد تلقى ضربة مضرب على رأسه . يبدو انه لم يتأثر ولكني قلت في نفسي لابد من فحصه . نحن الآن في مستشفى "دست بارك".

- شكرا لاتصالك . ساصل في الحال.

بعد نصف ساعة كانت قد دخلت المستشفى من مدخل الطوارئ. لابد ان "ماكنزي" كان بانتظارها لانه ظهر في الحال بجوارها واعلن :

- إنهم يجرون له الأشعة.

- ولكنك اخبرتني انه بخير.

- لقد ظل تائها بضع ثوان هذا كل ما هناك . وبعد ذلك لم يشعر باي الم في رأسه رغم أن الضربة كانت عنيفة.

مررت "كاترين" يدا مرتجفة على وجهها وسألت :

- لست افهم كيف حدث ذلك ؟ هل كان خلف واحد يجري ؟

هز "ماكنزي" رأسه وهو يتجنب نظراتها:

- لقد كان دوره ليلعب دور قاذف الكرة وقد نجح الولد الذي قبله في تسديد كرة ممتازة وكان سعيدا حتى إنه اخذ يلوح بعصا البيسبول

ولسوء الحظ اصاب "بن".

- انت تخفي عني شيئا ما ..

- إنها غلطتي . لقد كنت شاردا وإلا لتجنب الضربة. فقبل المباراة بقليل حدث شجار عندما ضحك ولد اسمه "باتريك" من آثار جروحي.

اكملت عبارته فهي تعرف ابنها بطل المظلومين والمدافع عن الارامل والأيتام:

- وهجم عليه "بن" وطرحه أرضا! ولكني لا ارى أي دخل لك في ذلك.

- إنها غلطتي فلولاي لما حدث الشجار.

- لا تكن ابله. لا دخل لك في ذلك . كان "بن على آية حال سيشرد حتى لو رأى فراشة تدور حوله او حتى سحابة غريبة الشكل فوق رأسه .. هذا كل ما هناك.

هز رأسه وقال :

- إنك لم تفهمي الوضع . لقد تصرفت بطريقة خاطئة . فقد اجبرت "بن" على الاعتذار لـ"باتريك" رغم انه هو الذي لم يبدأ الشجار .. أوه يا إلهي ! لو حدث له اي شيء.

امسكت ذراعه بحزم:

- لن يحدث له شيء.

ثم تذكرت انه ربما فقد طفلا والغريزة تجعلها تحس بمدى هلعه اكملت حديثها برقة :

- أعتقد انني فهمت. عندما يفقد المرء شخصا يحبه وعندما يحدث شيء لآخرين فهو يصبح اكثر حساسية.

وافقها بصوت منخفض:

- هذا صحيح .. إنه يجعل المرء يتجنب الحب .

- تقريبا .

كان إظهار مساندتها لـ"ماكنزي" قد ساعدها على التغلب على قلقها . إن الحمل الثقيل يصبح أسهل لوحمله اثنان . بدا رفيقها مضطربا فقررت تغيير الموضوع .

سألته :

- كيف حدثت لك تلك الجروح؟

ابتسم ورد قائلا:

- بتحطيم وجوه الفئران.

ضحكت:

- لابد أن هذا أحد تشبيهات "بن" وهو عندما ينطق بهذا الكلام فمن الصعب أن أنساه . ولكن خبرني بجد .. هل وقع لك حادثة؟

قال لها دون أن ينظر إليها :

- هناك أشخاص عبروا عن عصبيتهم عليّ.

- هل فعلوا ذلك عن عمد؟

- عن عمد وسابق إصرار . إن هذه الجروح التي على ذراعي لا يمكن أن تعد شيئا بالنسبة للموجودة على ظهري .

دهشت "كاترين" وهي غير مصدقة ومرتعبة في آن واحد:

- هل عذبوك؟ ولكن هذا مستحيل .. ولماذا ؟

ادار لها ظهره وذهب ليجلس على أحد المقاعد البلاستيكية الرمادية المرصوصة بجوار الجدار:

- حسنا.. يمكن القول: إنني تعديت على منطقتهم. هناك أشخاص لديهم شعور قوي نحو الأرض والتملك.

كان يتكلم بلهجة متهكمة . جلست بجواره:

- اللصوص الأوغاد . إنني دائما أعتبر رجال العصابات أشخاصا يهاجمون أصحاب المحال أو يطلقون النار على منافسيهم . ولم أتصور

ابدا انهم يعذبون ضحاياهم .

همس:

- من يعرف ما يقدر عليه الرجال ؟

خفضت عينيها نحو يديها ثم التفتت نحوه:

- هل ستتمكن من الحديث عن ذلك؟

- نعم ولكن ما الفائدة ؟ لقد انتهى كل شيء.

- حقا ؟ هل امسكوا بهم ؟ وهل عوقبوا؟

عندما هز رأسه بالنفي أكملت :

- إذن .. الأمر لم ينته بعد . ثم إنني الاحظ أن ذلك يطارد افكارك ويتسلط عليها .

كان وجهه خاليا من اي تعبير . واضح ان الذي حدث له يجعله دائما يتعذب وهو امر طبيعي . لا يمكن لأحد ان يواجه ما واجهه دون ان يطبع آثاره عليه للأبد. استانفت الحديث:

- إذا كنت لا ترغب الحديث فيه، اعرف متخصصين يمكنهم ان..

- تقصدين إخصائيا نفسيا؟ لا، شكرا . إنني ساتغلب على ذلك بمفردي . في الحقيقة كل شيء يسير سيرا حسنا ..

قطع حديثه فجاة وقفز واقفا ثم امسك بذراعها ليشدها نحو صبي صغير يقترب منهما .

أعلن الطبيب :

- لقد أجرينا له أشعة "إكس" وهو لا يشكو اي شيء على الإطلاق . إن ابنكما فريد من نوعه ولحسن الحظ أن جمجمته من فولاذ.

حتى هذه اللحظة لم تكن "كاترين" لتعرف مدى قلقه حقيقة . ولكن لمست شعوره بالارتياح حتى إنها التفتت إلى "ماكنزي" لتشاركه هذا الشعور . ترك ذراعها في الحال وابتعد بضع خطوات ولكنها رات

دموعا تلمع في عينيه . لحقت به ووقفت أمامه في إصرار. همست وهي تبتسم في اضطراب:

- لقد قلت لك : إنه لن يحدث له شيء.

رغم انها كانت تعلم : انه مرتبط بابنها إلا انها في هذه اللحظة بالذات تاكدت من مدى حبه له ومع ذلك رات في عينيه ماهو اكثر من الارتياح. احست بانه لا يريد ان يتركها او ان تطلب منه الرحيل دهشت وابتعدت عنه قليلا حتى يمكنها ان تراه جيدا ولكنه كان قد استدار ولحق بالطبيب الذي كان بانتظارهما وهو فارغ الصبر.

بينما كانا يتقدمان في الدهليز وراء الطبيب القت "كاترين" على "ماكنزي" نظرات مختلسة وهي تفكر في مدى عنف ردود فعله وعمق عواطفه نحو "بن" ..

أدركت فجاة وهي لا تصدق انها تحس بوخز في قلبها : إنها تريد هي الأخرى ان يكون لها مكان في حياته .

او ربما كانت مخدوعة او ربما وقعت شيئا فشيئا في حب الرجل الغامض والمعقد والذي كان اكثر الناس إثارة لضيقها عرفته في حياتها .

الفصل العاشر

– وبعد ذلك سنلعب ثلاث ألعاب "فيديو" لأن أم "تشاو" تسمح له بالنوم الساعة الحادية عشرة عندما يكون لديه أصدقاء في البيت..

كان "بن" يثرثر بسرعة وبلا انقطاع حتى إن أنفاسه أصبحت لاهثة وهو يتجه نحو السيارة التي تنتظره وكانت حقيبته الصغيرة الصفراء الموضوعة على ظهره مليئة لدرجة الانفجار وقد امتلأ سطحها ببروزات نتيجة حشر العديد من اللعب التي اعتبرها ضرورية لهذه الليلة التي سيقضيها عند صديقه.

أخذت "كاترين" تراقب السيارة وهي ترحل وتلوح بذراعها إلى أن خرجت عن مرمى البصر . لم تكن السيارة قد تجاوزت المنحنى القريب إلا وأحست بشوق لابنها . لقد مرت ثلاثة أيام منذ حادثة الملعب . ثلاثة أيام كرستها لابنها . لقد صنعا معا فطائر وكعكا ولعبا وشاهدا الرسوم المتحركة ساعات طويلة. كل ذلك وهما معا.. وفي الليل كانت تنهض

لتذهب إلى حجرته لتتأمله وهو نائم.

لقد عاد لها مرة أخرى هيستيريا الأيام المقدسة حيث لا ينغص الأولاد حياة آبائهم والبيت يصبح هادئا . ومع ذلك في هذه اللحظة كانت تحس بالخلاص والارتياح لأنه شفي من الحادثة اللعينة. عادت إلى حجرة مكتبها وشغلت الكمبيوتر. لابد أن تعوض العمل المتأخر وأن تتغلب على السكون الغريب الذي غزا البيت في غياب ابنها .

بعد ساعتين أحست بالضيق وتخلت عن محاولاتها الفاشلة للتركيز . لم تعد الأعمال تثير انتباهها. إنها تفكر في "بن" وكذلك في "ماكنزي".

ذهبت إلى غرفة المعيشة حيث كانت "فيلدا" ممددة فوق الأريكة وهي تلتقط حبات الفيشار وتتابع أحداث فيلم رعب . علقت العجوز: - إنهم ينثرون الدم حقا في كل مكان . عندما كنت طفلة لم يكن لهم الحق في عرض مثل هذه الأفلام . هل تشاهدين المسلسل معي ؟

– لا... أعتقد أنني سأذهب لأنام.

– كما تحبين ..

صعدت إلى حجرتها وارتدت قميص نوم دون أن تضيء النور، ثم جلست بجوار النافذة في مقعدها الهزاز . كانت مثارة لدرجة أنها أخذت تتأرجح في مقعدها بعصبية دون أن تصل إلى الاسترخاء. من ثلاثة أيام وهي في المستشفى فكرت أنها ستقع في حب "ماكنزي" ولكن ذلك لم يكن سوى ظن غير مؤكد فاجأها وأقلقها رغم ذلك.

والآن بعد أن قضت ثلاثة أيام لانهاية لها وهي تجتر كل كلمة تبادلاها وأقل لحظة قضياها معا . لم تعد تستطيع أن تنكر الحقيقة . أفلتت منها زفرة طويلة. والاعتراف بهذا الحب لن يفيدها في شيء. ليس هناك ما يمكن أن يجعلها تحتفل بيقظة قلبها. منذ وقت الحادثة عندما كانا يلتقيان مصادفة كان يتجنب النظر إليها ويبتعد عنها قدر المستطاع.

لقد عاد ودخل قوقعته ووضع من جديد حاجزا بينه وبين عالمه الخارجي بما فيه "فيلدا" و"بن".

نهضت الشابة وذهبت لتقف أمام النافذة . هناك ضوء في الشقة التي فوق الجراج . تساءلت: هل يجد "ماكنزي" صعوبة في النعاس ؟ هل يستعيد الأحداث الرهيبة التي تركت اثارها بوضوح على جلده ولحمه؟

هل يحاول أن يهزم شياطين الماضي؟ كم تود لو استطاعت ان تساعده وهي متاكدة من أنها تستطيع .

ولكن من الواضح ان الرجال خلقوا ولديهم قناعة أن عليهم ان يواجهوا بمفردهم اسوأ الصعوبات ، وكان الحاجة إلى التفاهم والتعاطف علامات ضعف. لم تتوقف عن التفكير إلا عندما وصلت قمة الدرج الخشبي الذي يؤدي إلى شقته . عندما طرقت الباب فتح لها "ماكنزي" الباب. أخذ يتاملها لحظات في صمت ثم بدا وكانه يستيقظ. كان صدره عاريا . سارع بان قال:

- انتظري لحظة حتى أرتدي قميصا .

- لا داعي للتعب فإنني لن ابقى إلا دقيقة . اريد فقد ..

تزحزح قليلا واظهر لها دون رغبته جزءاً من ظهره واختفت الكلمات في حلقها . تصلبت تقاطيع وجهه وتراجع خطوة ثم دس يديه في جيبي الجينز . همست :

- اوه يا إلهي !.. ظهرك .. ظهرك المسكين.

وضعت اصابعها برقة - وهي ترتجف - فوق جرح طويل غائر داخل عضلات كتفه وهي لا تدرك مدى الرجفة التي سرت في بدن رفيقها. ابتعد في الحال .

وسالها بصوت قاس دون أن ينظر إليها:

- ماذا حدث ؟ الا تجدين شخصا تسحرينه حاليا فاردت ان تمرني

اصابعك؟

شدت من قامتها كرد فعل دفاعي وغريزي ولكنها استطاعت ان تحتفظ بهدوئها . سواء اكان سعيدا أم لا فإنها تعرف الآن . إنها تعرف أن سخريته القاسية إنما هي وسيلته للدفاع عن نفسه . عندما لم يحصل على رد استمر :

- في أول مرة رايت فيها واحدا من أصدقائك - واعتقد انه "البرايت" - عرفت في الحال انه لا يوجد بيني وبينهم اي تشابه. ما عدا "جونيور". فإنهم جميعا من النوع صغير السن ومن الذئاب بارزي الانياب. لم اكن لافهمهم ولا لاقبلهم ولكني كنت الومهم . لقد كنت معهم قطعة ثلج حقيقية . وكانوا عندك في خضوع الكلاب الصغيرة المطيعة ولديهم أمل انه في يوم ما تحسين نحوهم بشيء ما أو تحتاجين لهم . وكان هذا سوء فهم منهم لك . إن الملكة "كاترين" لا تشبه اي شخص .. إنها مكتفية بذاتها ولو استطعت الاكتفاء بما تنتجينه لاصبحت خطرا على المجتمع .

كانت "كاترين" تعرف انه يبحث عن طريقة لتعذيبها لانه هو يتعذب ولكن مرارته هي التي ادهشتها . لقد فهمت انه لا يكتفي بمهاجمتها ويعتبر اتهاماته لها قائمة على اساس صحيح . قالت في هدوء:

- هذا ليس بصحيح . ربما كان "جريج" و"جوردان"والآخرون لا يترددون علي إلا بامل ان احس بشيء نحوهم . ولكن كيف تصفني بانني مكعب ثلج؟ انت تعرف جيدا أنني حساسة.

التقت نظراتهما وطاف حولهما ذكرى ما حدث في الحديقة . ثم قست عينا "ماكنزي" وفهمت الشابة انه يرفض ادعاءها . أدار لها ظهره ثم وقف أمام النافذة. استانفت هي الحديث في رقة:

- بعد موت "ديفيد" وبعد ان خف الشجن والحزن عرفت ان علي ان

www.rewity.com

أعود لأبدأ الحياة من جديد... لقد حاولت .. حقا حاولت أن أحس بشيء نحو الرجال الذين أقابلهم . ولكن ذلك لم يفلح . وفي لحظة ما اعتقدت أن شيئا ما بداخلي انكسر . وفي النهاية فهمت. في الحقيقة .. ولكني واثقة بأنك ستعتبر ذلك شاذا .

هزت رأسها فنظر إليها من خلف كتفه وسألها :

- ماذا ؟

- فهمت أنني لا أستطيع أن أقيم أي علاقة حب لسبب بسيط ومعقول وهو أنني لم أنته بعد من علاقتي القديمة ... إنني أحس بأنني مرتبطة للأبد بـ"ديفيد" . وأنني أنتظره...

لم يتح لها الوقت للشرح أو المتابعة وأن تقول له: إنه هو "ماكنزي" الذي أتى وغير ذلك الشعور. وجدته يمسك بكتفيها ويهزها بعنف وهو يصرخ :

- ولكن متى تفهمين ؟ إن "ديفيد" لن يعود أبدا !

همست وهي تركز عليه عينيها ولا تحاول أن تحرر نفسها:

- إنه أمر غريب ! إن من يراك يظن أنك تحس بالغيرة!

قال في مرارة بعد أن تركها وابتعد قليلا :

- هذا ممكن .. ارحلي الآن .. لماذا لا تتحركين؟ أنا أحذرك يا "كاترين" أنت تلعبين بالنار .

ظلت في مكانها بلا حركة واشتعلت عينا رفيقها العنبريتان بالغضب والرغبة وكأنه يحاول أن يجعلها تفر وفي نفس الوقت يتمنى بقاءها.

قال لها :

- لقد سبق أن حذرتك وعندما تبدأ شفتك السفلى في الارتعاش فأنت لا تعرفين مدى تأثير ذلك علي . كم هو من الجنون أن تصبح الأمور الصغيرة ذات أهمية كبرى مثل نظرة أو لمسة أو رعدة شفتين. إنها

WWW.REWITY.COM

تحول الأمور والعلاقات العادية إلى علاقات حميمة . وفي تلك الليلة التي التقينا فيها في الفناء تجاوزت الأمور حدودها حقا، ولكني توقفت في الوقت المناسب لأنني لا أريد لعلاقتنا أن تصبح حميمة.

ومن المضحك أنه عندما يحرم المرء نفسه من شيء صغير مثل قبلة أو لمسة فإنه يشتهيه من كل قلبه ولا يستطيع بعدها أن يكف عن التفكير فيه ويصبح الحصول عليه من العنف بحيث يشعر بالألم ويتخيله شديد الأهمية والتأثير على حياته رغم أنه في الحقيقة ليس كذلك.

في هذه اللحظة تأكدت تماماً أنها تحبه وتريده كما يحبها ويريدها وأنها انتظرته وقتا طويلا وربما من أول لقاء وهي تتمناه.

أخذت تتأمل تقاطيع وجهه الرجولي وعيناها شبه مغمضتين بينما لمعت عيناه العنبريتان ببريق حارق لقد انمحى كل شيء من عالمها. كل شيء. الحجرة والواقع كله اختفى ولم يعد بينهما سوى المشاعر. إنها لم تعد بحاجة لأن تنكر مشاعرها نحوه .. ولماذا تنكر؟ إنها تحبه وقد كفت عن التفكير في أي شيء آخر. ربت "ماكنزي" خدها وسألها برقة:

- أتبكين؟

- إنني أحس شعورا غريبا .. أحس بأنني أصبحت خفيفة ويسودني شعور بأن كل شكوكي ووحدتي وعذابي قد طارت أدراج الرياح . وكم أحب أن أنقل لك هذه العواطف . إنه شعور بأنني قررت أن أعيش طوال حياتي أمة وفجأة وجدت نفسي حرة ... قبل الآن عندما كان أي شخص يحاول مغازلتي كنت أحس بالمرض وأحس بأنني أخون "ديفيد" ولكن معك فالأمر مختلف ..

عندما ذكرت اسم زوجها استرجعت في ذهنها وجهه الذي أحبته بقوة . ومع ذلك فهي لا تحس نحوه بعد الآن بأي ذنب . لقد كان "ديفيد" يعاملها دائما برقة وكأنها صنعت من زجاج لأنها في الحقيقة كانت

هشة . ولكنها كبرت وتغيرت . همست :

- إن ما حدث بيننا شيء رائع وكان لابد أن يحدث. هل نفس الشيء حدث لك ؟ أرجو ألا يكون هذا مجرد إحساس عندي فقط؟

- بل إنه إحساس صادق وأنا أشاركك مشاعرك للنهاية. ابتسمت وهي سعيدة من العاطفة التي بدت في صوته. مررت أصابعها على الجروح التي على ذراعه وسألته:

- لست أفهم: كيف استطعت أن تعيش بعد ذلك ؟ لابد أن الأمر كان رهيبا .

- لقد استطعت أن أتجرد من الواقع .لقد كرهوا ذلك في البداية. لقد كنت ألجأ إلى ركن خفي من نفسي لا يستطيعون أن يصلوا إليه حيث كنت أجد الحب والسلام.

أحست الشابة بالدموع تصعد مآقيها . إنها تتعذب لعذابه ولكنها أيضا سعيدة . إنه لم يعد يهملها ولم يعد هناك حواجز بينهما . ولأول مرة يبدو على حقيقته وأحست بالألفة نحوه . قالت:

- هناك لحظات تكون فيها مطاردا .. هل بسبب هذه الجروح؟ اعترف بصوت بطيء ومخنوق:

- أحيانا ما تظهر لي الذكريات في وقت لا أريدها فيه ولابد أن أصارع حتى لا أهرب عدوا . ولكن الأمر تحسن عن ذي قبل رغم أنني لازلت أعاني الكوابيس مرة أو اثنتين في الأسبوع . وأستيقظ وسط الليل وأنا غارق في عرقي وأرتجف . وأجد نفسي لازلت هناك .وانتظر وصولهم ثم يبدأ الأمر من جديد ...

- ألا تعتقد أنه ربما ... لو وجدت امرأة بجوارك عندما تستيقظ في هذه الحالة قد تستطيع أن تساعدك وأن تعود بك إلى الواقع ؟

ضحك ضحكة مرحة وابتسمت هي دون أن تدري السبب . سألته :

- ماذا ؟ ماذا هناك؟

- لقد خيل لي لحظة أن ملكة مغاسل السيارات تعرض علي الزواج!

- وأنت فعلا على حق في تصورك!

نظر إليها نظرة كلها عاطفة.

جلس "ديفيد" أمام البوفيه وكانت الساعة الثالثةصباحاً . كانت "كاترين" نائمة في الحجرة .

انتشرت أمامه قصاصات من الصحف التي صدرت من عدة أشهر . استبعد أحدث الأخبار ليهتم بتلك التي كان قد وضعها جانبا ويرجع تاريخها إلى وقت اختطافه والأشهر التي تلت ذلك .

بعد أن صنفها حسب التتابع الزمني وأخذ يفحص أقدمها تاريخا . والتي نشرت في الجرائد المحلية بعد يومين من بداية الثورة "الجامارية" وأشارت من بعيد إلى حادثة الاختطاف كما قدمت الجريدة كذلك صورة فوتوغرافية للضحايا . وصورة أخرى أكبر لـ"كاتي". كانت الشابة شاحبة جدا وقد شردت نظراتها وتحاول الهروب من المراسلين . كانت عيناها الخضراوان مليئتين بالرعب .

قصت المقالات التالية ما تم اتخاذه. من إجراءات لتحرير السجناء وكانت التعليقات التي تصاحب الصور توضح مدى ما حدث لـ" كاترين" من تغييرات . وخلال عام أصبحت أكثر نضجا وشدت كتفيها أكثر ورفعت رأسها عاليا . وكانت قوتها الداخلية تظهر في الطريقة التي تظهر بها صورتها في الجرائد.

كان لابد عليها أن تكون قوية . إنها تواجه العالم وهي تصارع من أجل زوجها . كانت تهز الصحفيين وتهاجم الحكومة المركزية وتتحدث مع أي شخص يمكنه أن يفعل أي شيء . كانت في البداية تبدو خجولاً ومتوسلة ولكن سرعان ما فرضت على الجميع أن يستمعوا لها وأن

يهتموا بالرهائن.

كانت آخر صورة لها التقطت في نفس اليوم الذي أعلن فيه موته. قد صدم "ديفيد" عندما تاملها. عرف دون أي بصيص من أمل أن "كاتي" ماتت في نفس اليوم.

وولدت "كاترين" من رماد جثة "كاتي" وبدت اقوى واكثر تالقا . لقد عاشت .. عادت إلى الحياة من اجل أن تنشئ حياة جديدة لها ولابنها.

هبط من فوق مقعده وتسلل إلى الحجرة في صمت حيث بقي هناك وقتا طويلا بجوار السرير يتامل الشابة .

لقد عرفت هي ايضا الجحيم . ولكنها نجت منه وخرجت منه اقوى واصلب . لقد طوت صفحة الماضي. إن الرعب الذي تركته وراءها لم يعد جزءاً من حياتها. إنها لا تستطيع أن تتصور ما عاناه من القسوة اليومية والوحشية المتواصلة التي كانت قدره ونصيبه. لقد جاهدت لتصبح المرأة المذهلة التي أصبحت عليها الآن . وهي تستحق رفيقا هادئا، طبيعيا، رجلا لم تتشوه روحه ولا جسده.

اغلق عينيه واعترف أخيرا لنفسه بما كان ينكره حتى الآن . إنه يحب "كاترين" وشجاعتها واستقلالها أكثر من الحياة والحرية.

لابد أن يترك عالمها .

الفصل الحادي عشر

فتحت "كاترين" جفونها وطرفت برموشها أمام أشعة الشمس التي كانت تتراقص على السقف . لقد عاد إليها ذكرى الليلة الماضية في الحال مما جعلها تبتسم . كانت وهي نائمة تحس انها محاطة بغطاء رقيق وأنها رفعت في الهواء وطارت إلى حجرتها . وتذكرت انها اعترضت بصوت يسوده النعاس عندما غادر حجرتها . اخذت تتمطى في كسل وقد بدا لها أن جسدها لم يعد ملكها، بل إن العالم كله تغير بالنسبة لها، وأن الشمس ازدادت إشراقا . والهواء أصبح عليلا والنهار مليئا بالوعود أمامها.

انتصبت وأسندت ظهرها على الوسائد ثم عقدت ذراعيها حول ركبتيها . لقد كانت تشعر شعورالذيذا بان شيئا رائعا في انتظارها وأنها سعيدة مقدما . إنها لم يسبق أن شعرت بما تشعر به الآن من ست سنوات طوال، واكتشفت أن تلك السعادة كانت تفتقدها .

WWW.REWITY.COM

أفلتت منها ابتسامة خفيفة عندما تذكرت عرض الزواج الذي قدمته هي له . لقد أرادت منه أن يبقى في حياتها . ليس من أجلها و"بن" فحسب وإنما أيضا من أجله كذلك. إنها و"بن" سيساعدانه.

وهي متأكدة من ذلك، وسيكونان معه في صراعه ضد الذكريات الرهيبة وإبعاد الرعب عنه إلى أن يعود سيدا لنفسه ووجوده .

دخلت إلى الحمام ووقفت تحت الدش وتساءلت: كيف كانت حياة "ماكنزي" العائلية قبل أن يتعرض للتعذيب؟ كيف أمكن لزوجته أن تدعه يذهب؟

كان عليها أن تكافح وتصارع العالم كله حتى تمنعه . ولكنها لا تعرف عنه شيئا . في الحقيقة لم يكن لديها سوى حقيقة مؤكدة عنه وهي أنها تحبه. إنها ستعترف بذلك دون تردد، وهو ما أدهشها بعض الشيء . لقد ظلت دائما أنها لو وقعت مرة ثانية في الحب فإن عليها أن تقول وداعا لـ"ديفيد".

ولكن هذه ليست الحقيقة فإن زوجها لايزال موجودا داخل قلبها كما كان من قبل ودون أي تغيير، وكأنه لايزال على قيد الحياة . وهي تعرف أنه كان سيحب "ماكنزي" وهو ما أدفأ قلبها.

وجدت نفسها تضحك دون أن تدري وودت لو جرت نحو الشمس وأن تحتضن أي شخص مجهول وأن تصيح من السعادة أمام العالم أجمع .

بعد لحظات دخلت المطبخ ووجدت فيه "فيلدا" مشغولة في ملء غسالة الصحون . احتضنتها "كاترين" بحرارة فأخذت تقول لـ"فيلدا" بصوت موسيقي:

- شكرا .. شكرا .. شكرا. لا يمكن أن تعرفي مدى سعادتي برؤيتك.

تخلصت المرأة من عناقها وتراجعت لتفحصها بعين يشوبها الشك.

- يا إلهي ! ماذا هناك ؟ هذا هو إذن الأمر وأنا متأكدة .. لقد خرجت

بالأمس ؟ من سعيد الحظ ؟ أوه .. لا .. إنني أحذرك إذا كان "جونيور تيبيدو" فإنني سأتقيأ!

قالت "كاترين" في مرح :

- لا تكوني غبية. إن "جونيور" لا يمكن أن يكون له علي هذا التأثير . إنه شخص تحبينه جدا . رجل حقيقي كما تقولين وقريب جدا منا.

امتعضت "فيلدا" بطريقة مضحكة:

- هكذا الأمر ؟ "ماك" ؟ إنني أحس بالسعادة لأن شيئا ما حدث بينكما . ولكني لا أستطيع أن أعرف: هل ستعاملينه مثل الآخرين أم ستتمسكين به؟

- من حسن الحظ بالنسبة لك أنني اخترت الوضع الثاني .

- يا إلهي ! إن السيدة مشرقة ! أنا هنا من ثلاث سنوات وأنت تلعبين دور القديسة التي لا يجب لمسها .. هل اكتشفت أخيرا شخصيتك الحقيقية؟

أخذت "كاترين" قطعة من اللحم المقدد ووضعتهافي طبق ثم أخذت تقضم منها بشراهة:

- ربما .. وهل أعجبتك تلك الشخصية الحقيقية؟

- لو زاد جمالك وانشراحك أكثر من هذا أعتقد أنني سأكرهك ولكني أظن أنني سأتحمل ذلك.

- لو سارت الأمور على ما يرام يجب أن تتحملي .

اتجهت الشابة إلى الباب الخلفي . عبرت الفناء وصعدت الدرج الخشبي بسرعة . وعندما فتح لها "ماكنزي" الباب بعد أن طرقته أوشكت أن تلقي بنفسها عليه. قالت وهي تكرر كلامها في مرح:

- صباح الخير .. صباح الخير.

ابتعد عنها في الحال وقال بصوت مكتوم دون أن ينظر إليها:

www.rewity.com

- لابد أن نتناقش .. هذه الليلة ..

- كانت اجمل ليلة.

نظرت إليه بثبات ولكنه استمر وهو متوتر :

- "كاترين" .. لقد كانت غلطة .. لقد اخذتني على حين غرة ... وبحق السماء-لا تنظري إلي هكذا! في الحقيقة كنت تتعاملين مع زوجك الحقيقي ! هيا انزلي إلى أرض الواقع!

أدار لها ظهره وابتعد خطوات قبل أن يكمل في هدوء:

- ربما كان ذلك مجرد لحظات عابرة، ثم إن هذا ليس ما اريده على الإطلاق. وعندما تجدين الوقت لإعادة التفكير ستكتشفين أيضا أنك لم تكوني تريدينه.

أصبحت عاجزة عن الحركة وهي تنظر إلى ظهره المتخشب وهي تحاول احتواء الألم المرعب الذي استقر داخلها وسيطر عليها حتى لا يتملكها تماما، وعندما استطاعت أن تستعيد تنفسها الطبيعي بدأ عقلها يعمل . عرفت أن "ماكنزي" يكذب وهو لن يهون عليها الأمر.

لقد كانا في الليلة الماضية متقاربين تماما وبدلا من أن يلعب أمامها دور الرجل الخارق اظهر لها مدى ضعفه. لابد أن ذلك بالنسبة لرجل متشكك وقاس مثله أن يكون الأمر مخيفا . إنه حاليا يحاول في يأس أن يتخذ سكة الهروب وأن يخفي عيوب دروعه. أصبح الصمت ثقيلا . وانتهى بأن استدار نحوها وأعلن بعد أن سلك حلقه :

- أنا أسف لأنني ظهرت بمظهر المتوحش ولكني فكرت أنه من الأمانة أن أقول لك في الحال أين موقعي .. حسنا .. سأذهب لأعمل . لقد وعدت "بن" أن ننتهي من كوخه اليوم وأمامي شيئان أو ثلاثة قبل ذلك.

استدارت لتخرج وهي تقول:

- حسنا جدا ! سنتحدث في ذلك فيما بعد . التقت نظراتهما.

- "كاترين" ! .. لا .. لا شيء سنلتقي فيما بعد !

وصلت المنزل وعبرت المطبخ دون أن تلقي نظرة على "فيلدا" وصعدت مباشرة إلى حجرتها، قضت فيها تقريبا فترة الصباح وهي واقفة أمام النافذة تنظر إلى "ماكنزي" . وفيما بعد عندما عاد "بن" من عند صديقه راقبتهما وهما يضعان اللمسات الأخيرة للكوخ.

كانت عند مغادرتها للشقة التي فوق الجراج قد جمدت كل شيء داخلها : أفكارها وعواطفها . إنها تعلم أنها لو تذكرت ما قاله لها واللهجة التي تحدث بها، فإنها لن تتحمل أبدا . لقد أصبح من المستحيل عليها التفكير الآن وعليها أن تراقبه وتنتظر.

غربت الشمس خلف الأفق عندما غادرت أخيرا مكانهاأمام النافذة . لقد انتهى "ماكنزي" و"بن" من الكوخ وكان الوقت متأخرا . وبينما كانت تهبط الدرج بدأ الشك يساورها . هل هي مخطئة ؟ هل كانت واهمة عندما تصورت أن "ماكنزي" يحبها وأنه في حاجة إليها مثلما هي في حاجة له ؟ هل كان الأمر بالنسبة لها مجرد نزوة عابرة حقا ؟

خرجت من الباب الأمامي للبيت ودارت حوله لتصل إلى الجراج حتى لا يستطيع هو ولا "بن" أن يرياها. إنها ستنتظره في شقته وبطريقة أو بأخرى ستكتشف الحقيقة أيا كانت .

عندما دخلت عنده ذهبت لتقف أمام النافذة المطلة على الحديقة . إنه لايزال هناك مع "بن" بالقرب من شجرة البلوط الضخمة وصوته يصل إلى أسماعها بوضوح رغم بعد المسافة . سمعته يقول:

- سنظل صديقين يا "بن" وسنتحدث تليفونيا في كل يوم وسنفعل أيضا أشياء كثيرة معا . وليس معنى أنني لن أعيش هنا بعد الآن أن نكف عن اللقاء.

أحست "كاترين" ببرودة الثلج تجتاحها . لماذا يتحدث عن الرحيل ؟

- ولكن يا "ماك" .

كان صوت "ماكنزي" بطيئا واجش اكثر من المعتاد .

- هكذا الأمر لا حيلة لنا فيه . إن الأمور لا تجري دائما كما نريد ويجب أن نتأقلم ونصل إلى حل وسط مع الظروف . إن الحياة تتغير ويجب علينا نحن أن نتغير أيضا .

سكت ورفع رأسه ونزع الأوراق الميتة من الشجرة والمكومة في الفجوة وأسفل الشجرة . قطبت "كاترين" جبينها وهي ذاهلة . كيف استطاع أن يعثر على المخبأ . إن "بن" نفسه يجهل وجوده رغم انه استكشف كل بوصة مربعة في الحديقة . أخرج "ماكنزي" شيئا ما من الفجوة وظل لحظات طويلة ثابتا يتأمل ذلك الشيء . سأله الطفل:

- ما هذا ؟ .. ماذا تفعل يا "ماك" ؟

- إنني أنهي ما بدأته . وليكن هذا درسا لك يا "بن"! إن الأبدية ليست طويلة كما نتخيل.

كانت "كاترين" مذهولة غير قادرة على التفكير ولا على التنفس . ثم فجأة بدأت الفوضى تنتشر داخلها وبدأت ترتجف وكان عليها أن تستند على الجدار حتى لا تسقط . كيف عرف ؟ هل هو وسيط روحي ؟

هل استطاع أن ينظر داخل ماضيها ويرى تلك الليلة التي كانت فيها هي و"ديفيد".

هزت رأسها بعنف واتجهت وهي تتطوح نحو الباب . إن الأمر مستحيل وغريب .

نهبت الدرجات وخرجت من الجراج وهي لا تدري ماذا تفعل . يا إلهي ! إن "ماكنزي" له عينا "ديفيد". تسمرت في مكانها ويدها على فمها .. إنه له نفس لون البشرة التي تزداد إشراقا عندما يضحك.

لا .. إن أفكارها تضل . لابد أن تتصرف بتعقل. إن عيني "ماكنزي" في

الحقيقة لهما نفس لون عيني "ديفيد" ولكن هذا لايدل على شيء . وشعره أيضا هو نفس شعر "ديفيد" ولكن صوته المنخفض والأجش يختلف تماما عن صوت "ديفيد" .. ومع ذلك .. ما الذي قاله "ماكنزي"عن التعذيب الذي تعرض له ؟

لقد اعتديت على الأرض ... هناك أشخاص لديهم غريزة حب الأرض وتملكهم...

هل جرح في حلقه ؟ في نفس الوقت الذي جرح فيه في ذراعيه وظهره؟

المكان غير المناسب في الوقت غير المناسب !

"الجامارا"!

أغلقت الشابة عينيها وأجبرت نفسها على استرجاع الصور الرهيبة التي قدمت لإثبات وفاة "ديفيد".

لم يكن للصور أي وجه ظاهر ولم يحتفظ بأي ملامح لقد تعرفوا عليه عن طريق حساب الجثث وعددها .

هل له وجه آخر مختلف ؟ وصوت مختلف؟

لا... إنه مستحيل .. لابد أن هناك تفسيرا آخر!

ولكن "ماكنزي" يعرف أشياء عديدة ويعرف أنها درست الفنون الجميلة وأنها تجيد الرسم بالفرشاة والنظام الذي عليه البيت وتعديلاته مدعيا أن الموضوع مجرد منطق بسيط وفجأة عجزت عن التنفس مرة ثانية . في حلمها كان "ماكنزي"و"ديفيد" مختلطين وأحست في تلك الليلة بأنها بخير وهادئة...

ثم صدمتها ذكرى أخرى " اسم "ماكنزي" هو اسم الفتاة الصغيرة غير الشقيقة لـ "ديفيد".

لقد كان ذلك أكثر من اللازم .. ليس من المعقول وجود كل هذه

المصادفات .. من المستحيل- ببساطة- أن تحدث كل هذه المصادفات.

استدارت واتجهت ببطء نحو الحديقة.

عندما وصلت هي الأخرى إلى ظل شجرة البلوط خفضت عينيها نحو ابنها وقالت له بهدوء:

- عد إلى البيت يا "بن".

كانت عينا الطفل تلمعان من الدموع وصوته مضطربا:

- اطلبي من "مـاك" أن يبـقى يا أمي! إنه يريد أن يرحل ونحن في حاجة إليه.

- سنرى ذلك والآن عد إلى داخل المنزل.

بينما كان الطفل يبتعد أخذ رفيقها يفحص وجهها ويحاول أن يخمن ما وراء هذه الواجهة الخالية من التعبير. ساد صمت طويل وانتهى بان هزت "كاترين" رأسها وهي تعاني لأن الكلمات استعصت على الخروج وأخيرا استطاعت أن تقول:

- هل أردت أن تمزح وتتمتع بمزاحك؟

ابتلع محدثها ريقه بصعوبة وأجاب في حذر:

- لست أفهم عن أي شيء تتحدثين.

- ما هذا الذي في يدك؟

ضم كفه بقوة على السدادة في حركة دفاع غريزية. أغمضت عينيها وهي تكتم رعدة وسألته في همس مؤلم:

- كيف استطعت أن تفعل بي هذا ؟ لست أفهم .

فتحت عينيها قبل أن تخطو نحوه خطوة وتستأنف كلامها بنبرة مرتجفة من الغضب والعذاب:

- هيا قلها الآن : "إنه أنا "ديفيد" زوجك.. لم أمت. قلها بحق السماء!

همس:

- إنه أنا "ديفيد"!

دست وجهها بين كفيها وقد اهتزت من النشيج هزات عنيفة . ثم أدارت له ظهرها وابتعدت ولكنه وضع يده في الحال على كتفها.

قال متوسلا :

- من فضلك يا "كاترين" . انصتي إلي!

دفعت يده بعيدا عنها وابتعدت عنه . لقد كان من المستحيل أن تتعقل وأن تفكر ماداما قريبين كل منهما من الآخر . ثم إن عليها أن تتخذ قرارا وتجد ما تقوله وتفعله في الوقت الحاضر . لم تنظر إليه وأخذ صوتها يضطرب:

- لقد عدت كي تعرف: كيف كنت وتقرر إن كنت لا زلت أناسبك أم لا ؟ لقد ظننت أنني إذا فشلت في الامتحان فسترحل وتدعني أستمر في الاعتقاد بأنك مت؟ وإذا اجتزت الامتحان . فستبقى على ما أظن ولكن هل باسم "ديفيد" أم "ماكنزي" ؟ الحب القديم أم الحب الجديد؟ ولكني أفسدت خطتك . وسترحل . هل هذا بسبب الليلة الماضية ؟ كان من الواجب عليك أن تظهر أقل قدر من التسامح . أعرف أنني لست حاذقة في مسـائل الغـرام ولكن لو أتحت لي بعض الوقت لاستطعت أن أتحسن.

قال لها بحزم:

- اسمعيني!

أتت بحركة غير مفهومة بيدها ربما تعني أن يفعل ما يريد .

- لن أقص عليك التفاصيل عما حدث في الماضي خلال ست سنوات . لم أرد أن تعرفي ماذا... إن ما أريدك أن تعرفيه هو ما أحسسته .. أحب أن تفهمي أنني إن كنت بقيت على قيد الحياة .. فإنما ذلك لأنني أردت أن أعود إليك وإلى "بن" ...

WWW.REWITY.COM

تأثرت "كاترين" من العذاب واليأس الباديين في صوته . وأحست رغما عنها برغبة في أن تأخذه بين ذراعيها . وعندما استدارت اكتشفت أنه بعيد عنها وقد خفض عينيه . استمر في حديثه المتوتر:

– ولكني عندما عدت اكتشفت أن كليكما كبر بعيدا عني ولم تعودا في حاجة إلي. وقد أصابني ذلك بالألم ولا يمكن أن تتخيلي مدى هذا الألم . لقد كنت أنا شخصيا في حاجة إليكما لدرجة يائسة بينما كنتما تدبران أمركما على أحسن وجه بمفردكما .

في البداية كرهتك . وبدا لي أن تلك المرأة الراقية رفيعة المستوى... أعرف أن ما سأقوله مثير للسخريةولكني اعتقدت أنك قتلت "كاتي" . وعليه أردت أن أجعلك تدفعين الثمن عن تحولك وتغييرك وأنك أصبحت في غير حاجة إلي. لقد كنت أنتهز أقل فرصة لأعذبك . أنا آسف لأنني اضطررت للاعتراف بذلك وبأنني فكرت في لحظة يأس أن أختطف منك "بن" ثم بدأت أعرفك ... وهذا أيضا شوش ذهني لأنني لم أستطع أن أكف عن رغبتي في حبك ،والليلة الماضية أنت تعرفين كيف كانت وكيف مرت . لم أكن لأرغب في ذلك ولكنه حدث ولم أستطع أن أمنع حدوثه، فقط فيما بعد بوقت طويل عندما استغرقت أنت في النوم أدركت أن الوقت حان أن أواجه الحقيقة. لقد قرأت كل المقالات التي جمعتها حول موضوعك واكتشفت ما مررت به عندما أخذت رهينة ثم بعد ذلك بفترة بعد إعلان موتي المزعوم عرفت لماذا أنا تغيرت وفهمت أخيرا لماذا أنت أيضا تحولت . لقد فعل كل منا ما يجب عليه كي يستطيع أن يعيش، ولو وجدتك كما أنت، عندما رحلت إلى تلك الرحلة المشؤومة بلا تجربة وخجولا وضعيفة لتوليت كل شيء ولاعتنيت بك وبـ"بن". طوال تلك السنوات لم أنل ولو لحظة واحدة من الحرية ولم أستطع التحكم في الموقف وأردت أخيرا أن أمسك زمام الأمور في يدي وأتولى القيادة

واعتقدت أنه بذلك تعود الأمور إلى مجراها الطبيعي، وأكف عن أكون حيوانا مرتعبا لأعود بشرا. لقد كنت على حق تماما عندما قلت لي: إنني مطارد باستمرار بالماضي وكان ماضيا رهيبا يا "كاترين" ليس فقط لما فعلوه بي جسديا وإنما الأسوأ ما فعلوه بي أخلاقيا وأدبيا. وهناك أمور لا أستطيع أن أتحدث عنها قبل مرور وقت طويل وربما للأبد. لقد صارعت من أجل بناء ما لديك الآن . أما معركتي أنا فلم تنته بعد . أرجو أن تكوني قد فهمت. إنني لم أصب بجراحات عميقة في جسدي وعلى ظهري وإنما هناك إصابات في داخل رأسي .لابد أن تفهمي أنك تستحقين شخصا أفضل مني بعد ما وصلت إليه حاليا . إن روحي تغيرت تماما مثلما تغير وجهي وصوتي .

تبخرت ثورة غضب "كاترين" . لا يمكن أن تقارن ما عانته من خوف وشكوك حتى من بعيد بالجحيم الذي عاناه زوجها . ولكن كل شيء انتهى الآن . إنه يمكن أن يشفى ويجب عليها أن تجبره أن يعترف بذلك. سألته بصوت تخنقه العاطفة:

– أتعتقد حقاً أنني لست في حاجة إليك ؟ إذن أنت لم تسمع ما قلته لك في تلك الليلة . أتذكر أنك قلت لي: إنني تراجعت ؟ لقد كنت على حق تماما وفي الليلة الماضية شرحت لك ... أو حاولت أن أجعلك تفهم لماذا في البداية كان السبب هو الصدمة ولكن بعد ذلك أصبح تصرفي عن إرادة. وعندما أصبح طبيعية عاطفيا كنت أصارع حتى لا أصبح كذلك.. إن الأمر كان مثل بناء مبنى لن يعيش فيه أحد .مادام لن يعود "ديفيد" .. فأنت ستعيش فيه معي.. إنني ببساطة لم أكن لأريد أن أتلاشى، لقد التقيت برجال كثيرين طوال السنوات الست وبعضهم كان لطيفا جدا وجذابا للغاية ولكن لم يثر أي منهم اهتمامي ولا عاطفتي . ثم وصلت أنت ولم أستطع أن أمنع التغيير . لقد فقدت سيطرتي على الموقف

وعدت للحياة من أجلك فقط.

لم يجب واكتفى بأن تأملها بإمعان بعينيه العنبريتين المليئتين بالألم وأحست بأن اليأس يغزوها . إنها لا تستطيع الوصول إليه. إنه لا يسمح لها بأن تخترق الجدار الذي أقامه بينهما . بللت شفتيها واستأنفت حديثها وهي تشير بيدها إلى المنزل .

- وهل فكرت في "بن" ؟ لقد وصلت من ثلاثة أشهر ولكنك بالنسبة له أهم من أشخاص عرفهم طوال سنوات عمره . إنه يثق بك بالغريزة . وهو يحبك!

التزم "ديفيد" بالصمت وكزت "كاترين" على أسنانها. إنها لن تستسلم ولن تتخلى عن معركتها أبدا.

- لست أدري كيف كانت الأمور ستبدولو سارت في طريقها المعتاد بعد زواجنا . عندما أنظر للوراء أتذكر أن كل شيء كان مشرقا وهادئا والآن أنظر إلى الحاضر . والحب الذي أحسه نحوك الآن هو من القوة لدرجة أنني أحس أنني سأموت لو تركتني. هل تدرك أن لدي القدرة على أن أعود إلى حبك بنفس القوة التي كان عليها من ست سنوات ؟ إنني سأعمل على إزالة كل ما عانيته أنت طوال هذا الوقت وبكل تأكيد.. وأنا على استعدادلأن أتنازل عن أي شيء في سبيل تخليصك من ذلك. ولكني لن أتخلى أبدا عنك ولا عن الرجل الذي أصبحت عليه الآن. لن أستطيع أبدا ! وأنت هل تستطيع ؟ أنت تمسك أمرك في يدك. تمن أمنية يا "ديفيد". أغمض عينيك وتمن أن أعود الفتاة التي كانت تعشقك في يوم من الأيام.

خفض جفونه وظل هكذا فترة صامتا قبل أن يهمس:

- لا أستطيع .. إنه أنت التي أحبها .

فتح عينيه وقرأت في حدقتيهما إخلاصه الشديد ولكنه هز رأسه

واستطرد:

- المسألة ليست هذه فقط . منذ يوم الحادثة. كنت أعرف جيدا ما أحسه نحوك . لقد كنت أحبك لدرجة الإحساس بالألم والمرض. ولو رحلت فلن يوجد شيء آخر لي في العالم . ولكنني لم أكن لأستطيع أن أدع الأمور تسير هكذا .. ولم أكن لأريد ذلك . لقد كنت أحبك لدرجة أنني تمنيت أن تعثري على شخص أفضل مني...

أمسكت وجهه برقة بين كفيها:

- إنه غير موجود . إن ما يقلقك بداخلك هو ما حدث لك في "جامارا". وكل ذلك أصبح جزءاً منك في الوقت الحاضر. أنا أريده وأريدك كلك بمخاوفك ونقاط ضعفك تماما مثل نقاط قوتك . عندما لحقت بك الليلة الماضية علمت أن ماضيك سيطاردك دائما ومع ذلك لم يمنعني من مطاردتك .. لقد أخبرتك أنني تعلمت كيف أصارع . وهذا حقيقي . وسأقاتل بكل ما لدي من قوة للاحتفاظ بك . أنا أنانية لأقصى درجة. وأريد كل شيء : ذكريات ما كنا عليه والحقيقة والواقع الذي نحن عليه الآن.

أخذ يتأوه بصوت عال وكان جسده كله يرتجف. همس في أذنها بصوت مخنوق:

- لا يجب .. لست صالحا لك ويلزمك..

- لماذا لا تترك الأمر لي لأقرر بنفسي ما يلزمني ؟ هل تدرك ما حدث لنا ؟ فكر قليلا في أحوال البيوت الزوجية خلال ثمانية أعوام ماضية . لقد غرق الناس في وتيرة الحياة الرتيبة ولم يعودوا واثقين بأنفسهم ولا بما يحسه كل منهم نحو الآخر .. بينما نحن وقعنا مرة ثانية في الحب .. كل منا في حب الآخر . وبطريقة ما أتيحت لنا الفرصة مرتين...

- أوه .. رائع .. هل ستتزوجان؟

فزعا معا واستدارا معا . كان "بن" واقفاً على عتبة الحجرة ،وهو ينظر إليهما في سرور .

احس "ديفيد" بالأمل يعود إليه. رغما عنه سأل الطفل:

- ما رأيك أنت ؟ أتعتقد أننا نستطيع تكوين أسرة؟

- هل بهذه الطريقة ستبقى ؟ وستصبح أبي؟

تنقلت نظرات "كاترين" بين الاثنين وقررت أن الوقت حان لظهور الحقيقة أمام رجلي حياتها :

- إنه والدك يا "بن". إنه كان دائما وسيظل ..

تدخل "ديفيد" أمام عدم فهم الطفل الواضح:

- إن هذه الندبات آثار الجروح. هل تعرف ما هي ؟ حسنا.. لقد كان لدي منها الكثير على وجهي واضطروا لأن يعيدوا شكلي مرة أخرى ، لكنهم لم يستطيعوا أن يعيدوه إلى صورته السابقة . ولكنه على أية حال نفس وجه "ديفيد مور" .. أنا والدك.

حل الفرح محل عدم التصديق على تقاطيع "بن":

- الحقيقي؟ إذن أنت لم تمت ؟ ولكن لماذا لم تخبرنا بذلك من قبل أيها الأبله؟

ردت "كاترين" وكأنها صدى صوت ابنها:

- هذا صحيح ! لماذا لم تخبرنا بذلك من قبل أيها الأبله؟

- حسنا.. السبب دون شك أنني أبله.

ضحك "بن" وناوله "ديفيد" السدادة وقال له:

- خذ إنني أعطيك إياها تذكاراً ،فلم أعد في حاجة إليها. فإن أبديتي هنا .. بالضبط حيث توجد هي وأنت .

تمت